كيف نستقبل عشر ذي الحجة ؟
+ صفة الحج

ألقي في ٢٧ ذي القعدة ١٤٣١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لهنّ الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِـلْـمٌ يُـنْـتَـفَـعُ بِـــهِ)

/!#/http://tafaregdroos.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.
- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)
/http://www.muslimat.net

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
الحمد لله الذي يسَّر لنا هذا اللقاء. وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعل اجتماعنا هذا اجتماعًا مرحومًا، ويجعل تفرقنا بعده تفرقًا معصومًا. اللهم آمين.

إن شاء الله اليوم سنتكلَّم عمَّا سنستقبِل من أيام فاضلة، وهي أيام (عشر ذي الحجة)

وأهل الإيمان والتقوى يفترقون إلى فريقين :

١. فريق حجَّت أبدانهم وقلوبهم.
٢. وفريق حجَّت قلوبهم مع بقاء أبدانهم في مساكنها.

فكلا الفريقين حاج وإن كان أحدٌ حجَّ ببدنه وأحدٌ حجَّ بقلبه فقط.

ولذلك لما تنظر لهذه الأيام، سواء كنت حاجًا مرتحلًا إلى المناسك، أو غير حاج مرتحل إلى المناسك، فأنت بقلبك إلى ربِّك حاج، **أي: كوننا نرى أنَّ هذه العشر أو هذا المنسك خاص بمن حج، تضييق لواسع، وحرمان من فضل عظيم**؛ لأنه من المؤكد أن الذين لا يحجون في كل سنة أكثر بكثير من الذين يحجُّون، على ذلك هل كل الباقي الذين لا يحجون ضائع عليه فضل هذه العشر؟!

الجواب: لا، بل فضلها مشترَك بين الحاج وغير الحاج، ثم أن غير الحاج ربما سبق الحاج وهو لا يشعر؛ بمزيد شوقه وحرقته واعتنائه بوقته. وممكن الشخص يصِل إلى المشاعر، إلى النسك ويُفسِد فيها أو يقع في إلحاد يُسبِّب له الإثم العظيم وهو لا يشعر!.

فالعبرة ليست بالصورة الخارجية، العبرة بالقلب.

فهذا موسم مفتوح للكل، حجَجْت أم لم تحج، بهذه المشاعر ادخل على العشر، خصوصًا من جرَّب الحج سابقًا، وشعر بالاستعداد، فيأتي في العشر وهو ليس بحاج يأتي وهو باردًا. يتصوَّر أن العمل الوحيد الذي يمكن أن يكون فعَّالا في هذه العشر هو الحج، ثم أنَّ الحاج نفسه لا يدخل في مراسيم الحج إلا ابتداءا من نهاية اليوم السابع، اليوم الثامن هذا الكلام على الأقل للناس القريبين، معناها كم يوم سابق؟ سبعة أيام، أسبوع بالكامل. صحيح أني مسجلة في حملة، وصحيح أنا متَّفقة مع الناس أني ذاهبة أحج، لكن الله أعلم أبلغ أم لا أبلغ!.

فلما تدخل على العشر لا يكُن قلبك راكنًا أنك حاج – هذا الكلام للحاج– وتترك فضل هذه العشر، وإذا لم تكن حاجًّا اعلم أن الفضل عظيم في العشر لو رحلت إلى ربك بقلبك ستجد أضعاف ما تصوَّرت من أجر، **فالرحلة إلى الله بالقلب**.

سواءً كنت حاجًّا أو غير حاجًّا **مطلوب أن يكون لك علاقة وثيقة بسورة الحج**؛ لأنَّ أي أحد يريد أن يدخل على موسم تجاري، ماذا يُطلب منه؟ أن يَدرُس السوق، وأي أحد يريد التخصص في عمل يُقال له تعلَّم عنه.

الآن يقال لك : أنت ستدخل على شهر اسمه ذو الحجة، وعلى عمل اسمه الحج، فمن أين لك أن تأخذ هذا ؟

الجواب : من سورة الحج.

نسأل الله أن يسدِّد مساعينا.

سنتناقش في ثلاثة أمور :

أولًا: فضل عشر ذي الحجة.

ثانيًا: صفة الحج بصورة مختصرة.

ثالثًا: الكلام حول وقفات مع سورة الحج.

*سأشير خلال فضل العشر ذي الحجة إلى الكلام حول سورة الحج

نبدأ أولًا بالكلام حول

فضل عشر ذي الحجة

في سورة الفجر أقسم سبحانه وتعالى بالليالي العشر ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ﴾ الفجر: ١ – ٢

المفسِّرون فسَّروا هذه الليالي العشر بماذا؟ بعشرٍ من ذي الحجة. القسم يدلّ على ماذا؟ الله عزّ وجلّ لما يُقسم بشيء هذا إشارة إلى تعظيمه؛ أي: أنه سبحانه يلفت النفوس إلى أن عظِّموا ما عظَّمت.

ومن هنا تأتي نقطة البداية التي يجب أن تكون في نفوسنا، نُقبِل على العشر حاجِّين أو غير حاجِّين يجب أن نتصف بصفة مهمة وهي صفة التعظيم؛ **أي لابد يكون عمل القلب الذي نحمله هو تعظيم ما عظَّمه الله.**

- إن كنت في البلد، لستِ حاجة: **فتعظيم الزمان**.
- وإذا حججتِ سيجتمع لكِ أمران: **تعظيم الزمان، وتعظيم المكان**.

ثم سندخل في التفاصيل فتجدون أنواعًا من التعظيم، لكن المهم أن نتفق أن العبادة العظيمة التي سنقبل بها على ربنا في هذه الأيام هي **عبادة القلوب**، ما هي عبادة القلوب؟ (**التعظيم**)

ونحن لازلنا نفهم جيدًا:

((أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ))[1] .

لازلنا نفهم ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ))[2].

كل هذه النصوص تدلّ أنك راحلًا إلى ربك ليس ببدنك إنما بقلبك، الله عزَّ وجلَّ ينظر ماذا تحمل في قلبك، حاج أو غير حاج، سنحمل في قلوبنا تعظيم ما عظَّمه الله.

كلمة التعظيم هذه تحتاج لتحليل؛ لأعرف ما هي العبادة القلبية التي سأحملها بالتفصيل، يمكن أن يمر على خواطرنا سؤال يقول: لماذا هذه الأيام دونًا عن غيرها؟ ولماذا هذه الأماكن دونًا عن غيرها ؟

نبدأ أولًا: بالأيام

الأيام تبدأ من دخولنا في الأشهر الحرم، يعني من ذو القعدة ونحن دخلنا في عبادة التعظيم للزمان، ثم في داخل الأشهر الحرم بعد التهيئة للتعظيم جاءت عشرة أيام ما حالها؟ **أعظم أيام الدنيا على الإطلاق!**.

ولذلك أهل العلم يقولون: "فضل هذه العشر على أيام الدنيا كفضل أماكن النسك على الأرض كلها"، أرأيتم الحرم ومِنى والأماكن التي هي حُرم، ما فضلها على سائر الأرض ؟ فضلٌ عظيم؛ كذلك العشر فضلها على كل الأيام كفضل هذه الأماكن على كل الأماكن، ولذلك يقال عنها: "أعظم أيام الدنيا".

ما العلة ؟ ما السبب ؟ لماذا هي دوناً عن غيرها ؟

من هنا يأتي التعظيم، من هنا يأتي الكلام عن اسم الدين، ما اسم دينك؟ الإسلام.

الإسلام مبني على ماذا؟ مبني على الاستسلام.

إذا كنت تعلم أنك عبد، وأنَّ الله هو الملك، وإذا حَكَمَ الملك أنَّ هذا أعظم من هذا، وإذا كنت تعلم عن المِلك أنَّه قدُّوس سلام مؤمن مهيمن عزيز جبار متكبر، وكما في سورة الحج عزيز حكيم، إن كنت تعرف هذا عن المِلك، إذن ستخرج بأي نتيجة؟

سيقع في قلبك الاستسلام.

---

[1] متفق عليه.

[2] "صحيح مسلم" (البر والصلة والآداب/ باب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ/ ٦٧٠٨).

إذن أوَّل التعظيم الاستسلام للعظيم، إذا حَكَم في زمان أو مكان.

يعني هنا كأنك تقول: أنا عبد، عقلي ضعيف ناقص لا يحق له أن ينتقد فعل الملك ولا اختياره، ثم أن اختيار الملك من المؤكد أنه حِكمة؛ لأن الملك من وصفه أنه حكيم.

هذا أول الأمر، أن تبدأ مُعَظِّمًا لله، لا تسأل لماذا هذه الأيام عن كل الأيام ؟ لماذا هذه الأماكن عن كل الأماكن ؟ لماذا سبع نطوف ولماذا سبع نرجم ؟ **كل هذه الأسئلة ممنوعة على مبدأ (التسليم) الذي هو أول التعظيم.**

لو كان عندك عظيم من الخلق وأمَرَك بأمْر، كم ستجادله ؟! لن تجادله.

ولذلك انظري في سورة الحج ، وُصِفوا هؤلاء الناس: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ الحج: ٨، إذن هذا خلاف التعظيم، إذا كنت تعتقد أنه عظيم، لابد أن تعامل أوامره بالتسليم.

نقول هذا الكلام لأن **عقلانية أصابت حمى**، العقلانية أصابت بعض من يرى نفسه مُثقَّفًا، وهو في الحقيقة هذا تصرف أنصاف المثقفين وأنصاف المتعلمين، يأتي يقول لك: لماذا هذا المكان أفضل من الباقي؟ خصوصًا إن كان لديه تعصب لأماكن، وإذا كان له رأي في الأزمنة أو يتبع تاريخ غير تاريخ الإسلام هزيمة، مثل ما ترى اليوم: الشباب اليوم يرون من الثقافة والتحضُّر أن يستعلموا التاريخ الأجنبي، هذا كله من الهزيمة النفسية طبعًا. لكن لما يكون بهذه الصورة، فتصور وقع تعظيم أيام معينة على نفسه لن يكون كما ينبغي، ثم يأتيك هذا الجدل: **لماذا أيام دون أيام ؟!**

نحن جوابنا : أقسم الله بهذه الأيام، وإذا أقسم العظيم بشيء عظَّمه، وأنا أُعَظِّم ما عظَّمه العظيم.

- هذه الأيام ليست مثل باقي الأيام؛ العظيم أقسم بها، لابد أن تكون في قلبي عظيمة.
- لا تستهِن فيها.
- ولا ترى أنه سيأتي يوم –إذا ليست هذه السنة فالسنة القادمة– تستفيد منها .
- ولا تتصوَّر أنَّ خسرانك لها كخسران أي يوم في حياتك.
- ولا تتصوَّر أنَّ مرور ساعاتها كمرور ساعات أي أيام في حياتك.
- تصوَّر خسارتها خسارة، وتصوَّر مكسبها مكسب على وجه الحقيقة.
- استزِد واجعل ساعاتها ساعات تقدُم بها على ربك.

إذن هذه أول خطوة اتجاه هذه العشر أيًّا كان حالنا، حجاج أو غير حجاج، لابد أن ندخل هذه العشر مُعظِّمين لها كما عظَّمها الله عزَّ وجلَّ، ولا نشعر أنَّه بسهولة تعويضها، أو بسهولة مرور ساعاتها، ولا نشعر أنَّ الأعمال فيها مثل الأعمال في غيرها، فلا تظن خسارتها كأي خسارة ولا تظن أن مكسبًا فيها كأي مكسب، ويكفيك أن تعيد على نفسك :

أقسم العظيم بهذه الأيام دلالة أنها عظيمة فأنا أُعظِّمها لأنَّ العظيم عَظَّمَها.

هذه أول نتيجة نخرج بها من إقسام الله عزَّ وجلَّ بها في سورة الفجر.

ننظر لسورة الفجر بصورة سريعة، ردُّوها على أذهانكم، **ثم نرى إشارة في سورة الفجر تيسِّر عليك العمل في هذه الأيام.**

هناك أمر آخر لو بقي في ذهني سيسهل علي العمل في هذه الأيام، ولن أشعر أنَّ خسارتها كأي خسارة أو المكسب فيها كأي مكسب، وهو:

حال الإنسان، الناس في علاقتهم بربهم ورضاهم عنه لهم معايير باطلة؛ ما معاييرهم الباطلة ؟ **في سورة الفجر ذُكر لك معيارهم العطاء والمنع ؛ يرضون عن ربنا إذا أعطاهم، وإذا منع عنهم لا يرضون!.**

أنت ماذا تتصور الدنيا ؟

هو في هذا السياق أتى بعد هذا الظن يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّا﴾ ليس ما تعتقدونه صوابًا، لكن هناك علَّة لهذا الذي تعتقدونه، ما العلة ؟

﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ الفجر: ١٧ – ٢٠ ، بسبب طمعكم بالدنيا وأنكم تؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، لهذا السبب أصبح مقياس رضاكم عن الله هو عطاؤه أو عدم عطاؤه .

في هذا كله ما الذي يدفعك للعمل ؟

بعد أن فهمت هذا الكلام ، وبعد أن فهمت أنَّ أهل الباطل مقياس رضاهم عن الله هو عطاؤه أو عدم عطاؤه في الدنيا؛ نقول: هذا المفهوم يدفعك للعمل.

ما وجهه؟ لماذا هذا المفهوم يدفعك للعمل؟

ما المناسبة ؟ بين الإقسام بالليالي العشر، وتسمع عن فرعون وكل هذا، ثم مقياس الرضا عند الناس، ماذا يقال لك ؟

الدنيا ليس مكانًا للانتفاع بها في الدنيا، إنما الدنيا مكان للانتفاع بها في الآخرة؛ لذلك تهبُّ عليك رياح المواسم، من أجل أن تستفيد من الدنيا للآخرة، تأتيك مواسم، متى ستُحصِّل نتيجة الموسم؟ ليس هنا، في الآخرة.

فكأنَّه يقال لك: هذه الليالي العشر، إن كان مقياس رضاك عن الله هو الدنيا فلن تنتفع بها، لكن إن كان مقياس تعاملك مع الله أمر الآخرة، سترى أن من النِّعَم العظيمة أنَّه أحياك إلى أن تصل للموسم لتنتفع بالموسم ثم يثقل ميزانك.

يعني: النعمة أن تكون في هذه العشر حيًا تُرزَق، وقلبك حي.

أما عطاء الدنيا ومنعها فكلَّا، ليس هذا مقياس رضا الله عزَّ وجلَّ، بل إذا أردت أن تعلم كيف يرضى الله عنك افهم ما هو الربح الحقيقي. **الربح الحقيقي أن تأتي عليك المواسم وقلبك حي ينتفع.** أنت ستقف في عرصات يوم القيامة خمسين ألف سنة، خمسين ألف سنة في عرصات يوم القيامة تحتاج منك أن تستعد.

كم أقصى واحد ممكن أن يعيش؟ مائة سنة، معنى ذلك: مائة سنة اقسمي عليها خمسين ألف سنة، وانظري كل يوم من هذه المائة سنة سيستعد لكم من الأيام لما يلقى الله عزَّ وجلَّ، قابليها، هذا فقط على الموقف الذي ينتظره.

فمعنى ذلك لما يرى إقسام الله عزَّ وجلَّ بهذه الأيام، ويرى سياق السورة -السورة تحتاج إلى تأمُّل أكثر من ذلك- يرى أنَّ الله أقسم بالعشر ثم ذكر من فنوا ممَّن عمَّروا الدنيا، ثم ذكر لك مقياسًا باطلًا، ثم ختم السورة : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ الفجر: ٢٧ – ٣٠، صار عندي نفس مطمئنة، ما حالها ؟ راضية؛ عاشت في الدنيا راضية، وستُقبض راضية.

ما علاقة أول السورة بآخرها ؟ أنَّ اغتنام هذه الأيام سبب لهذه الخاتمة، اغتنام الدنيا على أنَّها مزرعة للآخرة، خصوصًا لو أتتك الأيام الفاضلة.

- ونحن دائمًا نبحث عن نقطة تحوُّل
- دائمًا نبحث عن نقطة نبدأ بها تاريخًا أحسن مما مضى
- دائمًا نريد شيئًا يحصل في حياتنا يمحو ما مضى من أخطائنا وبُعْدنا وينقلنا أكثر قربًا من الله.

يقال لك :

استثمر، هذه أيام عظيمة، والعمل فيها عظيم؛ تضاعف فيها الحسنات، وتفتح أبواب الجنان، ويفتح لك في هذه الأيام من الأجور التي لا تمر على خاطرك، ومن مضاعفتها ما لا يمر في الحسبان، كل هذا من أجل أن تنتفع من الدنيا للآخرة.

فاجعلها حقًا نقطة تحول..

على كل حال: في أول الكلام حول فضل عشر ذي الحجة لابد أن تتأمَّل سورة الفجر تأمُّلًا جيدًا، ثم ترى كيف أنَّ الله عزَّ وجلَّ أقسم بهذه العشر، ثم ترى القسم في سياق ماذا؟ وبماذا ختمت السورة؟ من ذُكِر في السورة؟

كل هذا ينبهك أن أيام الدنيا مزرعة للآخرة.

خرجنا من هذا النص بفائدتين :

الفائدة الأولى : أنا سأُقبِل على هذه الأيام العظيمة مُعظِّمًا لها.

الفائدة الثانية : أنَّ الذي سيدفعني للعمل هذه الأيام، تعديل مقياس الرضا والهموم.

في أول السورة ذُكر لك أقوام بلغوا مبلغهم في الدنيا، هم عاد وثمود وفرعون. هؤلاء كلهم ماذا كانت نهايتهم؟ معروفة نهايتهم، بذلوا من أجل الدنيا وهذه خاتمتهم في الدنيا، والآخرة حالهم أشدّ لا يقارن بحالهم في الدنيا والعذاب والنكال الذي نزل عليهم في الدنيا، الآخرة أشد؛ **فكأنه يقال لك اغتنم الدنيا من أجل الآخرة.**

إذن مما يدفعني للعمل في هذه الأيام: الشعور بأنَّ الدنيا مزرعة للآخرة، هبَّت عليك رياح هذه الأيام فاغتنمها.

قال الشعبي والنخعي وعطاء وحسن ومجاهد والسدي رحمهم الله على ﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ : هي عشر ذي الحجة.

ورد أيضًا عن النبي –صلى الله عليه وسلم– ((أفضل أيام الدنيا أيام العشر))[1].

وكأنَّ الدنيا في كفَّة وهذه الأيام في كفَّة، فلا ترى الخسارة فيها كأيّ خسارة، هذه أفضل الأيام عند الله، ستكون نفس الأمر ساعات وليالي ، لكنها أفضل أيام.

نحن في نفوسنا تعظيم لشهر رمضان – الحمد لله– نسأل الله أن يزيده، لكن يقابل تعظيم شهر رمضان ضعف تعظيم عشر ذي الحجة، وترى أنَّ الناس يحوِّلون عشر ذو الحجة إلى مكان للسفر والسياحة والخروج عن المألوف، وتأتيهم مشاعر أنه لا مانع، مباحات.

أهل العلم فاضلوا بين عشر ذي الحجة والعشر الأخيرة من رمضان، أي هناك مقارنات أيهم أفضل، فكأنك لما تأتي عشر ذو الحجة تشعر كأنك شخص يجيء على العشر الأخيرة من رمضان، كيف تصير مشاعره؟ المفروض أنه يجتهد، والمفروض أنه يشعر أنها أيام قلائل وينتهي الشهر.

هناك خلاف عند أهل العلم بين عشر ذي الحجة والعشر الأخيرة كم رمضان، عشر ذي الحجة ما قورنت بعشرين يوم من رمضان بل بالعشر الأخيرة، هذا إشارة إلى فضلها العظيم.

[1] البزار، صححه الألباني.

الإشكال أن المجتمع – ونحن نتأثر بالمجتمع – عنده ضعف لتعظيمها فنحن ننصبغ بصبغتهم، ترى الناس ضعيفين في اجتهادهم في العبادات، وترى الناس ضعيفين في عنايتهم بها، وترى الناس يكلمونك عن السفر والسياحة والخروج عن المألوف، ويكلمونك على أنها إجازة ، فبدل أن تكون أيام عظيمة تتحول فتكون أيام تُهدر، زيادة على هدر الأيام السائرة.

أريدك أن تتصوري أيام الإجازات كالخميس والجمعة: كيف العناية بصلاة الفجر؟ كيف العناية بالوقت؟
إجازة، إجازة حتى عن الصلوات في وقتها، رأيتم كيف الخميس والجمعة؟ كأنَّ هذا نفس النموذج؛ تأتي عشر ذي الحجة بدلًا من أن تكون مكانًا للاستفادة تصبح مكانًا للإهمال وليس أيام تعظيم، تكون أيام أستمتع فيها بالإجازة وليس أيام هي أفضل أيام الدنيا عند الله!!.

فهذا الأمر يحتاج منا إلى بثِّ تعظيمها في نفوسنا وفي نفوس الناس من حولنا، لابد أن نعايش ما يسمى بالعزلة النفسية إلى أن يتحوَّل الأمر فيعظِّم الجميع هذه الأيام. وعلى كل حال ترى الأمر إلى خير، فنحن سابقًا قبل ثلاثين سنة، كان رمضان والحج ليس له ذاك الأمر في قلوب الناس وبالذات الحج، كان الحج كأن الناس ذاهبين لرحلة، نزهة، ثم تبدلت الأحوال بنشر العلم، بتمسُّك ناس بالصواب والحق، فأنت لا تنتقد المجتمع، بُثَّ فيه التعظيم. على قدر ما يرسل الناس رسائل في كل شيء تافه ومهم، فأنت الآن مسؤوليتك أن تبثَّ في قلوب الناس تعظيم هذه الأيام بنشر النصوص فقط، لا تقل كلامًا كثيرًا؛ النصوص واضحة في تعظيمها.

في هذه الأيام ماذا سنفعل ؟

نحن الآن عرفنا عبادة التعظيم، نُقبِل على هذه الأيام بتعظيمها، ويحثُّنا على ذلك الشعور أن موسم من مواسم الطاعة أقبل، المفروض أن ننتفع به للآخرة، ذِكر بقاء الآخرة في عقلك يجعلك تنتفع بالمواسم، ماذا أفعل ؟
هذه العشر زيادة على رمضان تجتمع فيها أمَّهات العبادات، أي: تستطيع أن تفعل فيها أمَّهات العبادات، بالإضافة إلى كثرة التهليل والتكبير والتحميد.

❖ نبدأ بأمهات العبادات

ما المقصود باجتماع أمهات العبادات؟
أن تستطيع أن تجمع فيها أركان الإسلام، تصلي وتصوم وتتصدَّق وتحُجّ، وتكثر من ذكر لا إله إلا الله، فيجتمع لك في هذه الأيام أمهات العبادات.

الأركان الخمس التي هي تعبيرٌ عن الإسلام تجتمع في هذه الأيام ولا تجتمع في غيرها، أي: ما تستطيع تنفيذها في غيرها.
فهمنا أنَّ الذي سنفعله بقلوبنا هو التعظيم ثم الذي يحثُّنا على ذلك بقاء ذكر الآخرة.

ولذلك أنظري في أول سورة الحج يقال لك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ ﴾ لماذا ؟ ما العلة ؟ الكلام حول زلزلة الساعة: ﴿ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴾ المقصود أنَّ **سورة الحج التي هي زاد أهل الحج**، زيد من يقدم على هذه الأيام، أول ما بدأت بدأت بذكر المحشر، فكأنَّ نفس أعمال الحج والدخول فيه محشر صغير يُنبِئك إلى محشر كبير.

أنا لست حاجة ! الآن وسائل الإعلام تبقيك كأنك معهم، انظري الحرم الآن في وسائل الإعلام، تريه ٢٤ ساعة وأنت تنظرين له وهو طول الوقت في زحام شديد، فتصوري هذه الصورة ثم نفرتهم ثم خروجهم، هذا محشر صغير ينبئك إلى محشر كبير.

معنى ذلك أن الذي يدفعنا للعمل في هذه العشر هو بقاء ذكر الآخرة، بقاء ذكر الآخرة يجعلك تغتنم أيام الدنيا.
تشوُّقك أن تكون نفسك تلك النفس مطمئنة –كما في سورة الفجر– يدفعك للقيام بالعمل، ابقِ في ذاكرتك أنها أيامًا وتمر.

ماذا سنفعل بأبداننا؟ ما هي الأعمال بأبداننا؟
انظروا لأركان الإسلام الأمر يسير ومعروف، أكثروا من الصلاة والصيام والصدقة، ثم إن كنت حاجًّا فبها ونعمة، وإن لم يحج بدنك يحج قلبك، ثم أكثر من الذكر، من الثناء، من التكبير والتحميد، –وسيأتينا الكلام حول هذه الأذكار بالتفصيل– ثم اتبع هذا كله بالنوافل.
ابدأ أولًا بعمل الأركان، لا تتصور أن هذا فرضًا، لكن بين هذه الأركان هناك أعمال تعملها من قراءة القرآن ومن الاستزادة من العلم، كل هذا اجعله وسائل في وسط الأعمال.

نبدأ بترتيب الأولويات ، ما أول شيء أعتني به ؟

- **الصلاة وبالذات الفرائض**، لا تتحول للكلام عن النوافل وقيام الليل والضحى قبل ما تركز أن أول أمر هو العناية بالفرائض، ومما يعينك على الفرائض صلوات النوافل، لكن عينك على إتقان الفرائض.
- **مما يعينك على إتقان الفريضة: التكثير من النوافل** كأنك تتمرّن على جمع قلبك في الصلوات. **وقت الضحى** حتى لو لم تكن أهله، أي: كنت طول الأيام ما تصلي الضحى ماذا تفعل الآن؟ صليها الآن، **النوافل القبلية والبعدية** اعتني

بها، **قيام الليل** خصوصًا أن الليل طويل الآن، ليس شرطًا أن تنام وتقوم بل صلي بعد العشاء قبل أن تنام، المهم أن لا تبات ليلة وأنت تارك للوتر لابد من الاعتناء بالوتر في كل الأيام، وإذا ما كنت معتنٍ اجعل هذه بداية الفرصة.

تسأل أخت : أصلي بعد العشاء وأوتر ثم أنام ويتيسر لي أن أصحو ليلا ، هل أصلي ؟
الجواب: لا بأس، نعم صلي بدون وتر.

اشعر أن خطأ ونقصًا عظيمًا سيقع منك لو تركت هذا الوتر، اشعر بهذه المشاعر، لا تشعر أنها زيادة من عندك. اشعر أنَّ ربًا موفورًا يُعرض عليك وأنت عنه مقصر لو تركت.
اقضي الوقت بالدعاء، المهم ما تمر عليك لحظات ما تكون فيها معلقًا بالله، ما تكون فيها مستشمرًا لما يُعرض عليك في هذه العشر؛ يُعرض عليك من البركات الشيء العظيم، فلا تكن زاهدًا.
لا تُظهر زهدك ولو فاتك شيء تعبَّد الله بالحسرة! لأنَّ صاحب القلب الحيّ لو فاته شيء من الحسنات يشعر بالحسرات، ما يهون عليه أن يفوته شيء من الحسنات، فهذه كلها عبادات قلبية:

- الآن وأنت جالس في مكانك الشوق للعشر عبادة
- ثم وصولك لها وعزمك للانتفاع بها هذه عبادة تؤجر عليها
- ثم لو فاتك شيء منها فوقع في قلبك الحسرة على فواته، هذه أيضا عبادة.

لا تظهر من قلبك –الذي هو محل نظر الرب– استغناء، عدم الشعور أنَّ موسمًا عظيمًا أقبل عليك، لا ينظر الله إلى قلب العبد المؤمن وهو يرى أن هذه الأيام لا شيء أو أن فوات عمل صالح يمكن تعويضه!

أسألكم لو أنَّ تاجرًا أقبل على صفقة ثم حددوا له موعدًا لاستلام هذه المناقصة الساعة الثامنة، ونام ولم يستيقظ إلا التاسعة، كم واحد يحتاج أن يصبِّره ؟ كثير!
أولًا الفزع الذي سيقوم به، ثم كم أحد سيقُصُّ عليه حسرته، ثم بقاء هذه القصة في حياته، ويقول لك: (بعد هذا الموقف حرَّمت أن أنام عن موعد، أو أنام ولا يساعدني أحد ... الخ) الدروس والعبر التي سيخرج بها.

كم مرة نمنا عن قيام الليل والوتر والضحى؟ وكم يوم استهنا؟! ومع ذلك لا أشعر أصلا بهذا الألم ولا أجد معزيًا، ولا أصبر ولا حتى أحتاج أحد أن يصبِّرني.

لما تدخلي هذه العشر، لا يكن هذا البرود في القلب!!

أهل الدنيا لما يخسروا صفقاتهم، تقولين له: ربنا سيعوضك إن شاء الله.

فيقول لك: لكن هذه الصفقة لا تعوض.

ونحن في مشاعرنا تجاه العبادة مشاعر هدوء أنَّ الذي لم أفعله اليوم سأفعله غدا؛ **ضمانًا** أني سأعيش، **وضمانًا** أني سأجد قلبي، **وضمانًا** أني سأُقبَل !!

لابد أن تعرف كيف يعاملك الله؛ إذا نظر لقلبك منصرفٌ عن إرادة طاعته صرفك الله ﴿ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾ التوبة: ١٢٧

❖ **من الأعمال المهمة التي تبقى في هذه الأيام: كثرة التهليل والتكبير والتحميد فيها**

ورد عن ابن عمر في حديث وإن كان في سنده ضعف سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْمَسْجِدِ خَيْرٌ؟ قَالَ: ((أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلَّهِ)) . قَالَ: فَأَيُّ الْجَنَازَةِ خَيْرٌ؟ قَالَ: ((أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلَّهِ)) قَالَ: فَأَيُّ الْجِهَادِ خَيْرٌ؟ قَالَ: ((أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلَّهِ)) قَالَ: فَأَيُّ الْحُجَّاجِ خَيْرٌ؟ قَالَ: ((أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلَّهِ)) قِيلَ: فَأَيُّ الْمُجَاهِدِينَ خَيْرٌ؟ قَالَ: ((أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلَّهِ)) قَالَ: فَأَيُّ الْغُوَّادِ خَيْرٌ ؟ قَالَ: ((أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلَّهِ)) قَالَ: أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "ذَهَبَ الذَّاكِرُونَ اللهَ بِالْخَيْرِ كُلِّهِ"[١].

❖ فأنت متى تكون أفضل مصلي؟ على قدر جمع قلبك على ذكر الله في الصلاة.

❖ متى تكون أفضل صائم ؟ على قدر جمع قلبك على الصيام.

❖ متى تكون أفضل حاج ؟ على قدر جمع قلبك في الحج.

❖ متى تكون أحسن مستغِل للعشر ؟ على قدر جمع قلبك على كثرة الذكر.

الصلاة والعبادات كلها ما شُرعت إلا لذكر الله، ذكر مقيَّد بالعبادات

هنا في العشر كأن من أول اليوم لآخره سيبقى نفس الذكر – نفس المقصود من العبادات– تفعله دون التقيد بالعبادة. المقصود من الصلاة والصيام والحج والزكاة إقامة ذكر الله.

هنا إقامة الذكر في الصلاة والصيام والزكاة والحج لها صورة معينة. في العشر إقامة الذكر مطلق، طول الوقت مطلوب منك أن تبقى ذاكرًا.

[١] شعب الإيمان للبيهقي.

إذن هذه الأيام أعظم الأعمال فيها الذكر، سواءًا كان ذكر بلسانك (التكبير والتهليل والتحميد)، أو كان ذكر عن طريق العبادات.

فالعبادات ذكر والذكر المطلق ذكر.

الذكر ينقسم لقسمين :

١. ذكر مقيد
٢. ذكر مطلق

الذكر المطلق: من أول ما تغرب شمس يوم الـ ٢٩ أو الـ ٣٠ من ذو القعدة.

يقولون لك: (الليلة ١ ذي الحجة) من هنا يبدأ الذكر المطلق، بعد صلاة المغرب، إلى غروب شمس يوم ١٣.

كل هذه الأيام أيام ذكر يسمى ذكرا مطلقا ، مُطلقًا يعني طول الوقت.

الذكر المقيَّد:

ما صفة الذكر المقيد ؟ قُيِّد بأن كان بعد الفرائض.

الذكر المقيد يدخل على المطلق، يبقى الذكر المطلق كما هو لا يتغير.

لغير الحاج :

من: بعد صلاة الفجر ليوم عرفة، وبعد الاستغفار يُكبِّر التكبير المطلق، سنتكلم عن صيغه إن شاء الله.

إلى: بعد صلاة العصر من اليوم ١٣.

للحاج :

من: بعد صلاة ظهر اليوم العاشر، يوم العيد، حتى لو ما رمى جمرة العقبة.

اتفقنا على مجمل العبادات في هذه الأيام ، كل خير تعرفه في الدين قربة إلى الله افعله في هذه العشر، ويدخل في ذلك:

معونة أهل الإسلام

والصدقات

وصلة الرحم

وكل أنواع القُرَب إلى الله مادام مقصدك التقرب إليه

كل إحسان في هذه الأيام عظيم لأنها أيام عظيمة عند الله.

أيامها ولياليها كلها عند الله عظيمة

* لا تدخلي نفسك في مسألة المقارنة بينها وبين عشرة من رمضان

لو قلت لأحد على المفاضلة: أن نهار عشر ذي الحجة أعظم من ليله، هل تعلمين ماذا سيفعل في الليل؟ سيذهب ويتمشى في الليل.

ما نفهم أنَّ المفاضلة لازالت تعني أن هذه الليالي أفضل من غيرها من الليالي. أنتِ عليك بالنص، النص فيه لفظين :

١. ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ﴾ أقسم بليلها.

٢. ثم يأتيك الحديث: ((أفضل أيام الدنيا أيام العشر)) اليوم إشارة لنهارها.

استوى الأمر عظيمة وانتهى الموضوع، الآن هذه مناقشة علمية يراد منها لو أحد سأل: هذه الليالي أفضل أو أواخر ليالي رمضان أفضل؟ هذه المقارنة العلمية لا علاقة لك بها الآن، كل أيام العشر ليلها ونهارها عند الله عظيمة، وهي كلها عشر، في رمضان ٣٠ يوم؛ المفروض نستغلها بتفاصيلها.

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ ((مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ مِنْهَا فِي هَذِهِ)) قَالُوا: وَلَا الْجِهَادُ؟ قَالَ: ((وَلَا الْجِهَادُ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ))[1]. يعني يقول لهم صلى الله عليه وسلم: العمل في هذه الأيام أفضل عمل، فيقولون له: أليس الجهاد من الأعمال العظيمة؟ فتصوروا أنَّ الجهاد أفضل من الأيام في هذه العشر.

جواب النبي صلى الله عليه وسلم: "ولا الجهاد"، إلا في حالة واحدة سيكون الجهاد أفضل من العمل هنا، رجل خرج يخاطر بنفسه وبماله فلم يرجع بشيء، أي رجل خرج واستشهد وذهب ماله كله في سبيل الله ؛ هذه الحال توازي العامل في العشر، فتخيل عملك في هذه العشر كأنه عمل واحد خرج بنفسه وماله فلم يعد بشيء!

ومع ذلك سلَّمك الله وأبقاك وزاد في بركة عمرك بما تفعله في هذه الأيام.

قال ابن بطال : "هذا اللفظ يحتمل أمرين: أن لا يرجع بشيء من ماله وإن رجع هو، وأن لا يرجع هو ولا ماله بأن يرزقه الله الشهادة".

[1] رواه البخاري في كتاب العيدين (٩٦٩).

سؤال : أيهما أفضل ١٠ ذي الحجة أم أواخر رمضان؟

الجواب: هذه مناقشة علمية لا نحتاجها؛ لأن مردودها على كثير من الناس سلبي، لأن هذا الشخص لو قيل له: أن ليالي عشر رمضان أفضل من عشر ذي الحجة، ماذا سيفعل؟ يستهين بالليالي. إن كان علم ناقشه أهل العلم، لكن نحن لسنا بحاجة له.

أنتِ تفهمين أن الله عزوجل أقسم بالليالي، والنبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن فضل الأيام.

انتهى الأمر أن هذه العشر فاضلة وأيام تغتنمها ليلها ونهارها.

بهذا انتهينا باختصار من الكلام حول عشر ذي الحجة، يبقى عليك أن لا تنسى:

أنَّ هذه العشر مدرسة للتدريب على الذكر، فلا يزال لسانك رطبًا بذكر الله

والذكر خصوصًا من العبادات التي لا تحتاج مكان معين ولا تحتاج هيئة معينة.

ثم لا تدخل في باب الابتداع، فمن أجل أن تذكر تُلزِم نفسك بآلاف من الأعداد، هناك أحد حتى يبقى ذاكرًا يقول لنفسه: في هذه الساعة لابد أن أسبِّح الله مائة مرة.

نقول: ما ورد هذا في السنة فستخرج للبدعة وأنت لا تشعر، حتى لو مع نفسك، لا تلزم نفسك بهذا، أكثِر من الذكر ما استطعت لذلك سبيلا، لو كان هذا الطريق خيرًا لأرشدنا إليه النبي صلى الله عليه وسلم.

أنت بقدر ما تستطيع هيئ لنفسك الأحوال التي تذكر فيها، واذكر دون أن تحدِّد لنفسك هيئة ولا صيغة ولا حتى ترتيب.

ماتهتدي إلا بهديه!

في أحيان كثيرة يكون في ظنِّنا أنها تسهِّل علينا، لكن من كمال الاستسلام أن لا تعبد الله إلا بما شرع النبي صلى الله عليه وسلم.

سأنتقل للكلام حول:

أفعال الحج:

حتى لو لم تكونوا حجاج، قد تُكتَب لكِ، ثم قد تكوني معلمة لأحد.

آداب وأخلاق يكون عليها الناسك:

أولًا: الإخلاص

أهم الآداب والأخلاق أن يخلص علمه لله.

ففي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: ((قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ

الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِى غَيْرِى تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ))[1].

وهذا أمر غاية في الخطورة، تصوَّر أن قلبك يسير إلى الله – قبل ما أصف الحج سأتكلم عن أعمال أخرى– توضأت لتصلي الضحى وفي طريقك وجدت أحدًا تحب أن تكون صورتك عنده جيدة، فالتفت قلبك إلى ثنائه، ثم صلَّيت وقلبك ملتفت لثنائه، تركك الله وعملك! ثم لم تفقد هذا العمل فقط بل سيكون يوم القيامة في ميزان السيئات من الأوزار التي لا تغفر!.

لذلك كان الجهاد العظيم –سواءا كنت حاجًا أو لا– أن تفعل هذه الأفعال، وأنت فيها لا تريد إلا وجه الله، ولما تخرج منها تبقى ذليلاً منكسرًا غير معجب ولا متكبّر بعملك.

فتحيط المسألة القلبية بعملك:

- **تدخل للعمل** وأنت مشتاق تطلب من الله أن يقبلك.
- **في داخل العمل** تبذل جهودك في حفظ قلبك وعدم الالتفات لغيره.
- **بعد العمل** تحفظ قلبك من أن يدخله كبر أو عجب أو استحسان.

لماذا كل هذه العناية ؟ لأن الله لا ينظر إلى صورتك بل ينظر إلى قلبك؛ فنقّي موطن نظر الرب، اعتني به

وهذا يجعل ناس يرتحلون بسرعة لربهم وتبارك أعمالهم ولو كانت قليلة، وناس يقومون بأعمال عظيمة ثم لا تجد بركة هذه الأعمال في حياتهم ولا في إيمانهم ولا تقواهم!.

ثانيًا : الاجتهاد في معرفة أحكام الحج والعمرة

من أجل أن تؤديهما على بصيرة. وهذا غالبًا أنَّه لايحصل، فيخرج إلى الحج وهو لايدري مانوع النسك الذي دخله، ولا ماذا يفعل قبل ماذا.

نعم، لما تحج تفهم الحج وما تنسى المناسك، لكن ما تدخل وأنت أعمى.

من أنواع العبادة أن تطلب العلم لتعبده على بصيرة

ثالثًا : أن يتحلّى بالأخلاق الكريمة ويعامل غيره معاملة حسنة

تذهب ولست ممتلئًا كما يملؤك الناس؛ يأتونك غالبًا لما يرجعوا من الحج بذاكرة سيئة – عوام الناس– فيشحنوك على المكان الذي ستخرج له ابتداءً من الحرم. يقولون لك: وأنت تطوف تجد من يدفعك فلا تسكت لهم وادفعهم وافعل بهم! ثم يشحونك

[1] "صحيح مسلم" (الزهد والرقاق/ باب مَنْ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ غَيْرَ اللَّهِ/ ٧٦٦٦).

على الحملة – كثير من الحملات كذا وكذا – من ألفاظ التنقيص، لا تجعلهم يتكلمون، كل ما يقولون لك شيئًا، قل لهم: لا. لأنه هو معتمد على أنهم لا يريدون لهم خيرًا!.

في الخيمة يقولون لك: لو وضعوك في الأخير ما يأتيك التكييف، وعند الباب الناس يدوسونك ولو في الوسط كذا وكذا..

هذه وصايا، يوصي بعضهم بعضًا.

كل هذا الكلام، شخص غير مؤمن أنَّ الله رزاق، وإلا هذا رزقك ومكانك مكتوب عند الله، ومن رضي فله الرضا.

لو فقط جرَّب شخص حتى ليس موقنًا أن يرضى، سيرى كيف يعامله الله عزَّ وجلَّ، فكيف لو كان موقنا؟

من اليقين من رضي فله الرضا.

هذه المشاعر مشاعر الشحن يقابلها مشاعر التخويف، يخوفوه من كل شيء؛ انتبه ترى الناس يضيعون في الطواف، وانتبه ترى الناس يضيعون الرجم وعرفة، **يدخل الإنسان العبادة ومعه سوء ظن بالله**. أنت كلما يقول لك الشيطان: ستضيع، استعِذ بالله واسأل الحفيظ أن يحفظك، **وعامل الله بما يستحق من التوسل وحسن الظنِّ به**.

لما تذهب وأنت خائف أنك تضيع فلو جاء أحد قطع بينك وبين عائلتك بكل ما تملك من قوة ستدفعه؛ لأنَّ تفكيرك أن هذا سيجعلني سببًا للضياع، لذلك لما ترى التدافع في أماكن كثيرة هم لا يقصدون التدافع بل هم مشحونين بمشاعر الخوف، مشاعر الخوف تحوِّل سلوكهم لسلوك غير سوي.

هذا الكلام يُرحم به الحجاج، حاج جاء من خارج البلاد ما يعرف لغة أهل البلد، ولو ضاع عن أهله انتهى الموضوع، ما عنده طريقة مواصلات ما يعرف يتصل بالمجتمع هذا، يُرحم به فتحزنين عليه. لكن أنت تعرفين اللغة والأماكن وأرقام الاتصالات، أي شخص تقولين له: أعطني الجوال، سيعطيك تكلِّمي وتصِلي للمكان الذي تريدينه. وفي آخرها ستجلسين على الرصيف في عرفة أو مزدلفة ويأتونك، أنتِ على الأقل تعرفين الطريق.

فنحن مشاعرنا غير مشاعر غيرنا الذي يأتي غريبًا خصوصًا الذي لا يعرف العربية، هؤلاء لابد أن يكون في قلبي شفقة عليهم، وهذه الشفقة ستخرجني بمخرجين:

أولا: ما أدافعهم، ولو دافعوني أشعر لماذا هم يدفعوني؟ لأنهم يخافون أن يضيعوا –هذه مشاعر أخرى– حتى أن الشيخ محمد ابن عثيمين – رحمه الله– كانوا يسألوه: كثير من الرجال والنساء من شرق آسيا لما يكبِّر الإمام للصلاة، يقفون صفوفًا مع بعضهم، ومهما أقنعتهم لا يرضوا؟ فقال الشيخ رحمه الله: هؤلاء يخافون الضياع لذلك تلطف معهم، لو ضاعوا ما يعرفوا يسألوا أحد، وقليل المرشدين بلغتهم.

فيقع في قلبك إعذار لهم وفي نفس الوقت أنت ما يقع منك تدافع، لا تخف اطمئن اسأل الله أن يحفظك ويحفظ من معك، ابق متوسلًا إلى الله أن يحفظك ومن معك، وأن يصلح أعمالك ولا يفسد؛ كل هذا طريق يهوِّن عليك الأمر ويجعل أخلاقك كريمة.

أولًا : لما تأتِ الخبرات السيئة: أن الحملة تتركك في عرفة لو ضعتم، هناك أناس ضاعوا باليوم والليلة، هذه كلها الخبرات السيئة لاداعي لنقلها.

ثانيًا : هنا عبادات كثيرة: عبادة التوسل واللجوء والانكسار. ألا ترى أنَّ الحج يدور حول هاجر؟ ألا ترى أن الطواف والسعي يدور حول امرأة فقدت المعين؛ فقوي رجاؤها وذلها وانكسارها فأصبح مكانها مكان يطوف الناس ويسعون؟!

تصور الحج بهذه الصورة، لابد أن تحصل فيه من المنغصّات التي تدفعك وتحملك على اللجوء والانكسار وطلب الخير من الله، أينما كنت مهما كنت مرفَّهًا في الحج سيأتيك ما يكدِّرك لابد. **لماذا ؟** اختبار من الله عزَّ وجلَّ. **لكن** لنستعمل التقوى.

لذلك في أول سورة الحج : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ ﴾ فعل **التقوى** في أول سورة الحج، لأن هذا الفعل الذي ينجيك في الحج وهو المحشر الأصغر، وينجيك في المحشر الأكبر .

التقوى تنجيك في المحشر الأصغر كما تنجيك في الأكبر

لهذا يقال لك: قَالَ رَسُولُ **اللَّهِ** صَلَّى **اللَّهُ** عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ وَخَالِقْ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ))[1].

من الآداب المهمة التي يتأدّب بها الحاج:

أن يشتغل بالذكر والدعاء والاستغفار ويحفظ لسانه إلاّ من الكلام بالخير، ويُشغِل وقته فيما يعود عليه بالعاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة.

كما ورد في الحديث : قَالَ رَسُولُ **اللَّهِ** صَلَّى **اللَّهُ** عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ))[2]

انظري كيف ارتبط قول الخير أو الصمت بالإيمان ؟

كأنه يقال لك: إذا أردت إشارة إلى قوة إيمانك بالله وبرسوله، انظر لقولك وصمتك، هذا شاهد على قوة إيمانك أو ضعفه. فعلى هذا يقال لك: لما تذهب الحج، لا تقل أنا أتكلم كلامًا مباحًا، هذه الأيام وهذه الساعات من الساعات التي يُتعبد إلى الله

[1] رواه أحمد في مسنده، والترمذي في سننه، وحسنه الألباني.
[2] متفق عليه.

فيها إما بالذكر وإما بالصمت، والذي يُعينك على هذا أن تجعل أمام عينيك شعارًا يقول: ((مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ))[1]، خصوصًا لو كنت حاجة لا مشرفة ولا داعية ولا إلى آخره من الأعمال، لو كنتِ حاجَّة تعبدي الله بذلك: ((مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ)) .

أما أمر بمعروف ونهي عن المنكر وتعليم لجاهل فهذا مما يعنينا، لو كان عندك علم وجلست في الحرم بعد الطواف أو بعد السعي جنب أحد ما يحسن صلاته، أو يُكثر من الالتفات في الصلاة، -كثير نجد ناس بهذه الصورة- يكون يصلي وتراه بصره —وهذا أهون الأحوال- وفي أحوال يقلب رأسه كاملة، بعد ما ينتهي الصلاة فهذا من شأنك وليس من غير شأنك. هذا الموقف ما ينطبق عليه ((مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ))، مما يعنيكِ أمر بمعروف ونهي عن منكر وتعليم جاهل.

من آداب الحج: اختيار صحبة صالحة

بالنسبة لنا الصحبة الصالحة هم الناس الذين لا نعرفهم، الناس الذين لانعرفهم لن تُفتح معهم مواضيع، ولا يكون بيننا وبينهم شيء من الاستئناس، فأحسن شيء اختر لنفسك مكان معزول أو ناس ما تعرفهم، لكن لو كنت اجتماعي وبدلًا من أن تتفرغ للعبادة تذهب لناس لاتعرفهم وتتعرف عليهم فأحسن لك أن تأخذ ناس تعرفهم.

سائلة تسأل : أنا أتلو كتاب الله وبين يدي مصحفي، ويأتي أحد يسألني سؤال ليس له داعٍ، ماذا سأفعل؟

لو أجبته لن ينتهي الأمر، سيسأل ويكمل، يمكن استعمال الإشارة وهي لن تصبر ستترك وتذهب.

أنت اسأل الله أن ييسر لك صحبة صالحة قليلي الكلام، وأنت لا تكن بلاءًا على أحد، ولا تجلس جنب أحد تتكلم وتتحكى وتسأل، وهو يعطيك طرف الموضوع وأنت تكمل معه، لأن غالب الأحيان نرى أنَّ من الودِّ أن أسالها كم طفل عندك ؟ **هذا كله ليس له داع، ليس هذا مكانه، التلطُّف ممكن يكون بعد ما ينتهي الحج، لكن الآن لابد أن تشعر أنك راحل لربك.**

المخيمات فيها خير كثير قدمت خدمة أن الناس ما يحتاجون أن يقوموا على أنفسهم بالخدمة، لكن مع ذلك فيها ضرر؛ الضرر تجمع الناس. الزمن الماضي لم يكن الحج بهذه الصورة، كان الحج كل عائلة تطلع بنفسها وتقوم بخدمة نفسها.

الحملات اليوم حلَّت مشكلة الخدمة وأراحت الناس من شيء كثير من جوع وعطش وأشياء كثيرة، لكن في المقابل أصبحت أماكن يجتمع فيها الناس، وخصوصًا النساء فيكثر ضحكهم ورفع صوتهم، **كل هذه أمور مخلة – صحيح أنها لا تبطل الحج– لكنها مخلة بالحج المبرور الذي ليس له جزاء إلا الجنة.** خصوصًا لما يأتِ العيد الناس يتصورون أنهم في العيد في البلد ليسوا في مكان حرام، الذي لازال التبذُّل والانكسار والذل شعار هذا الحاج.

[1] رواه أحمد في مسنده، والترمذي وابن ماجه في سننهما، وحسنه الألباني.

أَيَّامُ مِنَى ((أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ))[1]

الذكر والشرب المقصود به الأضاحي، وأشير إلى الأكل والشرب إشارة إلى إقامة هذه الشعيرة المهمة، شعيرة إراقة الدماء لله.

استنبط البعض من كلمة أكل وشرب أنه مكان للهو، هذا استنباط باطل!.

ما المقصود بأكل وشرب وذكر لله؟ الأكل والشرب هنا يعتبر نوع عبادة؛ لأنه تحقيقًا لعبادة إراقة الدماء لله (الذبح)، فأنت تذبح تقربًا إلى الله وتأكل من هذا المذبوح تعظيمًا لله.

تذبحه تعظيمًا لله ثم تأكل منه ائتمارًا بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم، وليس معناه اللهو.

ربما اليوم الثامن واليوم التاسع يمران، لكن اليوم العاشر يتصبَّغ كثير من الحملات بصبغة العيد، فيبتهجون ناسين أنه ليس هذا المقصود شرعًا، إنما المقصود شرعًا بقاء التبذُّل والانكسار والذكر ومنها رمي الجمرات.

لماذا تُركتم في منى ؟ تُركتم لذكره وليس للالتهاء.

ثم هذه الأيام بالنسبة لطلبة العلم خير أيام لنشر العلم، ولازالت عبادة، قربة إلى الله.

الحملات الآن القريبة والبعيدة من الجمرات، كثير من الناس لما تكون الحملة بعيدة من الجمرات يستثقلون الذهاب لها!! أنت جالس أربع وعشرين ساعة ما القربة التي قمت بها؟ خطاك إلى الجمرة تحتسبها ولا تستثقلها ولا تعبد الله عزَّ وجلَّ وأنت مستثقل عبادته.

ثم يقال لك في الجمرة الصغري –**في اليوم الحادي عشر**– انحي يمنة ثم ادع بمقدار سورة البقرة، وفي الجمرة الوسطى انحي يسرة ثم ادع بمقدار سورة البقرة.

لما تكون هذه العبادة العظيمة وعبادة الدعاء ماذا سيبقى في قلبك من الذل والانكسار ؟

أكيد أنك سترجع للمخيم مذلول منكسر.

فكيف يزول أثر الذل والانكسار ثم تبتهج وتصبح إنسان عادي؟

هذه الأربع أو الخمس أيام مكان تجميع الإيمان وليس مكان الانفراط، لكن يأتون يقولون لك: من أجل أن يروا أنَّ في الدين فسحة! يروا أن في الدين فسحة في ديار المسلمين، **لكن هناك في المكان المعظَّم وفي الزمان المعظم لابد أن يكون الذكر وإقامة الشعائر والدعاء والاستغفار هو الذي يشغل ألسنتنا.**

[1] رواه أحمد في مسنده وأبو داود وغيرهما، وصححه الألباني.

من الآداب أيضًا : أن يحذر إيذاء غيره بقول أو فعل

عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ))[1] .

صفة العمرة

نتكلم الآن عن صفة العمرة، وهذا الكلام ينفع الكل سواء الحاج أو غير الحاج لأن صفة العمرة مشتركة بين الحج والعمرة فقط.

صفة العمرة إجمالًا :

- الإحرام من الميقات لأهل الميقات. (أهل جدة يحرمون من بيوتهم، وأهل مكة يحرمون للعمرة من خارج الحرم)
- والطواف بالبيت
- والسعي بين الصفا والمروة
- والحلق أو التقصير.

صفة العمرة تفصيلًا :

- بعد الإحرام يستقبل القبلة قائمًا ويلبّي بالعمرة (لبيك عمرة)، ويقول (اللهم هذه عمرة لا رياء ولا سمعة).
(يكون هذا بالنسبة لأهل الميقات في الميقات، وبالنسبة لأهل جدة ميقاتهم من بيوتهم).
- ثم يلبّي بتلبية الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا : ((لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ))[2] .

جواب لسؤال: نية الإحرام هي الشيء الذي انعقد في قلبك وقت قيامك ولبسك وخروجك، ثم التعبير عنها بالتلبية، هذا التعبير فيه خلاف لكن الصواب والله أعلم أن تلبي من بيتك.

هنا في التلبية تقولين: (إن حبسني حابس) **وهذا فيه خلاف عند أهل العلم:**

- بعض أهل العلم يقولون: إذا كنت تظن أن هناك مشكلة قد تحصل فقل: (إن حبسني حابس)، مثلا: بعض النساء يخشون الدورة الشهرية أو أن سيارته قد تتعطل هذا يقول (إن حبسني حابس) هذا رأي.
- رأي آخر: تقول (إن حبسني حابس) مهما كانت الظروف ومهما كان الأمر متيسِّر ينفعك هذا.
- غالب أهل العلم على الضيق، يعني وقت ما تشعر أن مشكلة يمكن أن تحدث تقولها، وهو الظاهر والله أعلم.

[1] متفق عليه.
[2] متفق عليه.

- وكان من تلبيته صلى الله عليه وسلم ((لَبَّيْكَ إِلَهَ الْحَقِّ))[1]، وإن كانت الزيادة جائزة لإقرار النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة الذين كانوا يزيدون على تلبيته "لَبَّيْكَ ذَا الْمَعَارِجِ وَلَبَّيْكَ ذَا الْفَوَاضِلِ"، وكان ابن عمر يزيد: "لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ بِيَدَيْكَ لَبَّيْكَ وَالرَّغْبَاءُ إِلَيْكَ وَالْعَمَلُ"[2].

كل هذه الزيادات لا بأس بها، لكن الأصل التزام السنة.

لماذا نقول هذا الكلام؟ حتى لو سمعتِ أحدًا يقول هذا الكلام لا تنكري عليه ولا تتصوري أنه يقول كلاما باطلًا.

- ويؤمر الملبي بأن يرفع صوته بالتلبية لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْمُرَ أَصْحَابَكَ أَنْ يَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّلْبِيَةِ))[3]، والنساء في ذلك سواء فيرفعن أصواتهن ما لم يخش الفتنة لأن عائشة رضي الله عنها كانت ترفع صوتها بالتلبية .

❖ الصحابة كانوا يرفعون أصواتهم حتى تبح أصواتهم من شدة رفعهم للأصوات.

❖ أما بالنسبة للنساء لو أنت بسيارتك وما معك إلا محارمك فارفعي صوتك بالتلبية، لكن إن كنتِ بالباص ورجال ونساء، فليس من السنة رفع الصوت، وفي المخيم حسب قرب وبعد الرجال منكِ، هناك مخيمات بعيدة أماكن الرجال وهناك مخيمات ملاصقة قريبة. (عائشة رضي الله عنها كانت ترفع صوتها مع محارمها).

❖ لا تتعمدوا أن تكون تلبيتكم متصلة، وإن حصل لا بأس؛ لكن أن يتعمد أهل الباص أن يلبوا كلهم معا فهذا يدخل في الذكر الجماعي، فهذا منهي عنه وليس من السنة.

- وإذا بلغ الحرم ورأى بيوت مكة أمسك عن التلبية ليشتغل بغيرها مما يلي :- (هذا قول، وقول آخر: ما تتوقف عن التلبية إلا لما ترى الكعبة، أي: البيت) **يشتغل بما يلي لمن تيسَّر له هذا:**

❖ الاغتسال لدخول مكة، فمن تيسّر له الاغتسال قبل الدخول فليغتسل.

❖ وليدخل نهارا أسوة بالرسول صلى الله عليه وسلم.

❖ وليدخل من الناحية العليا التي فيها اليوم باب المعلاة فإن هذا أقرب باب إلى الحجر الأسود.

---

[1] رواه أحمد في مسنده، تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين

[2] "صحيح مسلم" (كتاب الحج/ باب التَّلْبِيَةِ وَصِفَتِهَا وَوَقْتِهَا/ ٢٨٦٨) .

[3] رواه أحمد في مسنده، وصححه الألباني.

ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل من الناحية التي تقابل الحجر الأسود.

هذا كله على حسب ما يتيسر؛ لأن المتابعة هنا يغلبها عدم ضرر المسلمين؛ فاليوم أكثر الأبواب التي يأتي منها الحجاج باب الملك عبد العزيز أو باب الملك فهد، هذان البابان لن يواجها الحجر الأسود، لكنهما أيسر أبواب الدخول، لا تقُل: أدور إلى أن أصل لباب ينزلني على باب الحجر الأسود؛ لأن الأبواب التي تنزل على الحجر الأسود الغالب أنها تكون مشتغلة بخروج الخارجين من السعي.

- فإذا دخلت فلا تنسى أن تقدم رجلك اليمنى وتقول: ((إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- ثُمَّ لْيَقُلِ اللَّهُمَّ افْتَحْ لِى أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ))[1] أو ((أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ))[2].

لأن النساء بالذات غير معتادات على دخول المساجد، فينسون الدعاء، فبقدر ما تستطيع ذكِّر نفسك بالدعاء.

- فإن رأى الكعبة رفع يده إن شاء لثبوته عن ابن عباس، ولم يثبت هنا دعاء خاص فيدع بما تيسّر، وإن دعا بدعاء عمر "اللهم أنت السلام ومنك السلام فحيينا ربنا بالسلام" فحسن؛ لثبوته عنه.

هذا ليس فعل النبي صلى الله عليه وسلم، لكنه ثبت عن ابن عباس. فعند دخولك ورؤيتك الكعبة يمكن أن ترفع يديك وتدعو، هذا لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم، إنما فعله ابن عباس، لذلك تجد خلافًا في فعله.

أقول هذا الكلام حتى إن رأيت أحدا يفعل لا تنكر عليه؛ لأن هذا فعله ابن عباس، وأنت الأولى أن تلتزم السنة، ولاحظي أن هذا كله حسن لأنه ثبت لكن ليس عن النبي بل عن الصحابة.

الطواف:

سأشرح الطواف عمومًا ثم على حسب النسك ماذا سيكون اسم هذا الطواف، لكن غالبًا اسمه طواف القدوم أو طواف العمرة للمتمتعين.

- **طواف القدوم** : ثم يبادر إلى الحجر الأسود فيستقبله استقبالاً ويسمي ويكبر ثم يستلمه بيده ويقبله بفمه، فإن لم يتمكن من تقبيله استلمه بيده ثم قبل يده، فإن لم يتمكن أشار بيده، ويفعل ذلك في كل طوفة.

– أول ما يدخل يسمي ويكبر، حتى هذه التسمية والتكبير واردة عن ابن عمر، ليس حديثا مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

[1] رواه أبو داود وابن ماجه في سننهما، وصححه الألباني.

[2] رواه أبو داود في سننه، قال الألباني : إسناده صحيح.

- وفي استلام الحجر الأسود فضل عظيم للحديث: ((لَيَبْعَثَنَّ اللَّهُ الْحَجَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ ، يَشْهَدُ بِهِ عَلَى مَنِ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ))[1]، وقال أيضًا صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ مَسْحَ الْحَجَرِ الأَسْوَدِ ، وَالرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ يَحُطَّانِ الْخَطَايَا حَطًّا))[2].

" اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ " أي: يكون صادقًا، الإخلاص والصدق، **صادق في كونه مقبل على ربه.**

– بالنسبة للإشارة: لما تؤشرين من بعيد ما تقبلين يدك، فقط في الاستلام، الاستلام أي: أنك وضعت يدك على الحجر الأسود وما استطعتِ أن تقبِّليه، لما تمسحين بيدك الحجر الأسود تقبِّلين يدك.

١. إذا تمكن من الاثنين معًا بها ونعمة.
٢. أو مجرد الاستلام ثم تقبيل اليد التي استلمت.
٣. أو إشارة بدون تقبيل.

ولاحظي أن التسمية والتكبير (بسم الله والله أكبر) فعل ابن عمر، وهذا مرة واحدة، ثم في كل شوط ما ورد أنه يكبر، الإشارة فقط بيده اليمنى.

ليس شرطا أن ترفعي يدك رفعًا تامًا خصوصًا النساء.

– الركن اليماني والحجر الأسود تمسحين عليه دون قول، ما ورد الدعاء.

- ويبدأ بالطواف حول الكعبة بحيث يجعلها يساره فيطوف من وراء الحِجر سبعة أشواط من الحِجر إلى الحِجر.

شوط الحِجر هو المكان المقوس، ما تدخل داخله.

– تعرفون أن الكعبة في طرفها السفلي يوجد مكان كأنه مائل، من الخطأ أن يركب عليه العُمار أو الطائفين فوقه؛ لأن الكعبة لما ضاقت عليهم النفقة أنقصوها من جهتين، من جهة الحِجر طولا، ومن هذه الجهة عرضًا، فحتى يبقوا مكانها أبقوا هذا المكان الذي لو نظرت له مائل، فهذا جزء من الكعبة ما يصح تركب حوله وتطوف. (هذا بعيد عنا لكن قد تراه فتنبه عليه العُمّار والحجاج)

– هذا الكلام بمناسبة الحِجر، الحجر لا يصح الدخول فيه، لأن الناس وقت الزحام ما يفكرون بعقلهم، فيدخلون من هناك ويقضون شوطهم على الاختصار.

[1] رواه أحمد في مسنده، تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم.

[2] المعجم الكبير للطبراني، صححه الألباني.

- الرجل في طواف القدوم يضطبع (والاضطباع هو إخراج الكتف الأيمن وجمع طرفي الإحرام على الكتف الأيسر).
- ثم أن الرجل يرمل (والرمل هو شيء بين السعي الشديد والمشي) هذا لو فيه متسع، لو كما هو الآن في الحج، لن يكون له متسع.

- ويستلم الركن اليماني بيده في كل طوفة إن تيسر ولا يقبِّله، وإن لم يتمكن من استلامه لم تشرع الإشارة إليه بيده، ويقول بينه وبين الحجر الأسود ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة : ٢٠١].

- ليس للطواف ذكر خاص، فله أن يدعو أو يقرأ القرآن أومن أي الذكر ما شاء.
  - يعني يذكر الله ما شاء.
  - تبقى مسألة قراءة القرآن هناك خلاف في قراءة القرآن بالطواف، في الزحام الشديد يصعب القراءة نظرا، إن كانت القراءة غيبا لا بأس.
  - لم يرد في بداية الطواف دعاء نبدأ به، في بعض الكتب أوردوا دعاء لكن حديثه لا يثبت.

- فإن انتهى من الشوط السابع غطى كتفه الأيمن وانطلق إلى مقام إبراهيم ويقرأ ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى ﴾ [البقرة:١٢٥] ويجعل المقام بينه وبين الكعبة ويصلي ركعتين الأولى " قل يأيها الكافرون" والثانية "قل هو الله أحد".

وهو خارج من الطواف، ذاهب لمقام ابراهيم، يقرأ "واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى" هذا ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم، بقي خلاف عند أهل العلم، هل يقرأها أم مجرد تعليم؟ كثير من أهل العلم يرى من قراءة النبي أنه يقرأها، لازلنا نقول أنَّ هذه سنن.

- ويجعل المقام بينه وبين الكعبة ولو طلعت الدرج، ليس شرطا في الصحن، السنة أن يكون المقام بينك وبين الكعبة، لكن إن لم يتيسر فصلي في أي مكان.
- لم يرد هنا الدعاء، بالعكس هذا أحد المواطن الخمسة التي يعجل فيها بالصلاة. (سنة الفجر وركعتي الطواف) من المواطن التي يُعجَّل فيها بالطواف، ما تقرئين إلا قل يا أيها الكافرون في الأولى، وقل هو الله أحد في الثانية، وما تطيلي في ركوعك وسجودك، أخف ما تكون من الصلاة. سيأتيك في السعي موطن من أعظم مواطن الدعاء، هنا في الصلاة خلف المقام السنة التخفيف.

ابن عمر وعمر كانوا يطوفون بعد الفجر وقبل الإشراق ثم يرتحلون على جمالهم فيخرجون و يصلُّون أي مكان يوافقهم في الحرم، بعد الشروق بربع ساعة، بعشرين دقيقة.

من الأخطاء في الحرم، أنه يقال لك الشروق الساعة السادسة وعشرون دقيقة، فيصلون الناس في عين وقت النهي !! المطلوب منك أن تصلي بعد أن ترتفع مقدار رمح، يعني على الأقل خمسة عشر أو عشرين دقيقة، وهذا مما يستوجب النصح، قولي له: الآن عين النهي، اصبر حتى ترتفع مقدار رمح.

الذي لا يفهم مقدار رمح ينتظر من ١٥ لـ ٢٠ دقيقة بعد وقت الشروق المكتوب في ساعات الحرم أو التقويم.

لو ركعتي الطواف صادفت فريضة؟

بعض أهل العلم يرى أن الفريضة تسقط ركعتي الطواف.

لو طُفتِ قبل المغرب ووقفت فأذَّن المغرب، صلاتك للمغرب تسقط ركعتي الطواف، يوجد قول من أقوال أهل العلم.

وقت النهي بعد العصر قسمين:

١. **قسم واسع** : لما تتهيأ الشمس للغروب، في المغرب أصبحت الشمس وبدأت تغيب، هذا لا يُصلَّى فيه حتى ذوات الأسباب.

٢. **قسم ضيق**

وهذا كله نحن نتكلم على سنة، لابد من الاهتمام بالأركان كما ينبغي.

- فإذا فرغ من الصلاة ذهب إلى زمزم فيشرب منها ويصب منها على رأسه.
  - هذا ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يصلي الركعتين ثم شرب من ماء زمزم وصب على رأسه.
  - ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جابر، أنه بعد أن طاف وصلى الركعتين وشرب من ماء زمزم عاد للحجر الأسود واستلمه.

هذا متى يكون ؟

الطواف الذي بعده سعي، يعود الإنسان فيستلمه.

السؤال: هل يشير إليه أو لا ؟

أهل العلم قالوا: بداية الطواف إشارة للحجر الأسود، وبداية السعي إشارة إلى الحجر الأسود.

هناك قول ثاني: إذا لم تستطِع استلامه تتوجه مباشرة للسعي دون اشارة.

نتجه للسعي

- السعي بن الصفا والمروة :

الغالب أن الناس يطلعون الدرج مكان الإشارة ثم يدخلون منه إلى السعي، هذه المنطقة كلها اسمها: **لما دنا إلى الصفا والمروة**، (دنو أي قُرب) في هذه المسافة تقول: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة : ١٥٨] ويقول ((نَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ)) فَبَدَأَ بِالصَّفَا فَرَقِيَ عَلَيْهِ حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَكَبَّرَ اللَّهَ وَوَحَّدَهُ وَقَالَ: ((لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ أَنْجَزَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ)) [1].

نيتك أن تبدأ من الصفا لأنها هي التي بدأ بها في الآية.

ثم يبدأ بالصفا فيرتقي عليه حتى يرى الكعبة، –واليوم أهل العلم قالوا: لو صعب عليك رؤية الكعبة لا بأس لأن البنيان قد يشوّش عليك رؤية الكعبة المهم اتجه اتجاهها– فيستقبل الكعبة ويرفع يديه بصورة الداعي (لايوجد إشارة هنا) فيوحد الله ويكبر قائلا (الله أكبر) ثلاث مرات، ((لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ أَنْجَزَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ)) ثلاث مرات ويدعوا بين ذلك . هذه المرة الأولى قلتها ثم تدعو بما أردت من خيري الدنيا والآخرة، ثم تقولها نفسها مرة أخرى وتدعو بخير الدنيا والآخرة، ثم تقولها مرة ثالثة، (إذن قلتها ثلاثًا ودعوت مرتين).

❖ ثم تنزل للصفا. **هذا الموطن من أعظم مواطن استجابة الدعاء**

الناس يتركون هذا الموطن الذي من السنة الدعاء ويدعون خلف المقام، خلف المقام ليس موطنًا من مواطن إجابة الدعاء. الموطن لما تكون ساعي واقف على الصفا تدعو، سنرى مثله في المروة.

الآن مهما كان زحام تستطيع أن تدعو، لأن المنطقة التي تدعو فيها الناس فقط يطلعون ويلفون وينزلون. الذي جرب يعرف أنه سواء كان زحام أو في غير موسم ستجد مكانا تدعو فيه، لا تحرم نفسك، استعن بالله وستجد.

لما تتجهين للمروة، مطلوب منك في مكان السعي أن تجمعي قلبك على أنك تسعين إلى الله، إلى رضاه، ثم تذكرين الله بما تيسَّر لك، بذكر ودعاء وقراءة قرآن، كله لابأس به. إلى أن تصلين إلى المروة، لما تصلين للمروة سنفعل نفس الفعل، نرفع يدينا بصورة الداعي ثم نكبر ثم نقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ... إلخ، تصلي إلى المروة، أصبحت المرة الثانية التي تدعين فيها.

[1] رواه أحمد في مسنده، و السنن الأربعة إلا الترمذي، وصححه الألباني.

أول مرة: وأنت على الصفا، قلت: (لا إله إلا الله ....) ثلاث مرات ودعيتي مرتين، المرة الثانية: مثلها في المروة، المرة الثالثة: في الصفا، المرة الرابعة: في المروة، المرة الخامسة: في الصفا، المرة السادسة: في المروة، السابعة والأخيرة: ستكون في الصفا. لما تنتهي من السعي انتهى.

- ثم ينزل ليسعى بين الصفا والمروة فيمشي إلى العلم الأخضر ثم يسعى منه سعيًا شديدًا –هذا خاص بالرجال– إلى العلم الآخر ثم يمشي صاعدًا حتى يأتي المروة فيرتقي عليها ويصنع كما صنع على الصفا من إستقبال القبله والتكبير والتوحيد والدعاء وهذا شوط ويعود إلى الصفا شوط ثاني وهكذا .
- وإن دعا في السعي بقوله : "رب اغفر لي وارحم إنك أنت العزيز الأكرم" فلا بأس لثبوته عن جمع من السلف.

(لكنه لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم).

- فإذا انتهى من الشوط السابع على المروة حلق شعره أو قصَّه وبذلك تنتهي العمرة.

تأتيني مشكلة التحلل (سأعتبر نفسي في عمرة، ليس في حج)، التحلل وشعر النساء، دائمًا يأتي سؤال: أنا شعري مدرَّج ماذا أفعل به؟

لابد أن تعرفي الآن أنه لا تحل المرأة من عمرتها حتى تقص من أطراف شعرها، لو كان مدرج ١٠٠ تدريج، تقصين من كل درجة بمقدار أنملة. (هذا بتكرار سؤال العلماء، هذا الجواب)

- حتى مسألة أنه لابد أن يقص لك أحد، هذه المسألة ليست واردة.
- أنت لو حوَّلت شعرك لجدائل، تستطيعين أن تأتين بها للأمام وتقصين قدر أنملة.
- الرجل لابد أن يحلق له أحد، المرأة تستطيع أن تتصرف بنفسها.
- التي شعرها طويل، كان الصحابيات يجدلون شعرهم اثنين أو ثلاث، تضفره، وتمسك من طرف كل ضفيرة أنملة، بنية أن تتحلل من الإحرام.
- المطلوب منك أن لا تتركي شعرك، من كل منطقة متساوية لابد من قص مقدار أنملة.
- من السنة أن لا تغادري مكان الإحرام إلا وقد تحللتِ.

أنواع النسك:

الإحرام: هو نيّة الدخول في النُّسك.

- فإن أراد التمتع : نوى عمرة
- وإن أراد الإفراد : نوى حجًّا

– وإن أراد القران : نوى حجًّا وعمرة

وهذا فيما إذا مرَّ بالميقات أو حاذاه.

التمتع: شخص يأخذ عمرة كاملة في أشهر الحج، ثم يتحلل تمامًا، ثم يدخل في الحج.

حتى تتصوري الصورة جيدا: شخص يأتي مثلًا يوم ٢٩ ذي القعدة إلى مطار جدة مُحرمًا من بلده بالتمتع، وهو قادم يوم ٢٩ مفترض أن يكون ناويًا عمرة، ثم لما تنتهي العمرة يذهب إلى مكة يطوف ويسعى ويتحلل تمامًا ويلبس ملابسه، ويجلس من يوم ١ الحج إلى يوم ٨ الحج في أحد فنادق مكة، وهو يعيش حياته عادي، يتعطر، غير محرم، ثم في اليوم الثامن من مكانه، من فندقه، من المكان الذي يسكن فيه ينوي الحج ويخرج منه إلى منى. هذا اسمه متمتع.

هناك شروط: أهمها أن يعتمر في أشهر الحج.

هذا أفضل النسك لما يسمونه (الآفاقي) البعيد عن مكة، وراء الميقات.

هذا النسك نعمة من الله، خصوصا للآفاقي، لأن الآفاقي يأتي في أشهر الحج وأشهر الحج تبدأ من شوال، فيأخذ يوم واحد في شوال يأخذ عمرة ويبقى في البلد، من النعمة عليه أن يأخذ في سفر واحد عمرة ثم يتحلل ثم يدخل في الحج.

نأتي لأهل جدة: أهل جدة إذا أردوا أن يتمتعوا، ماذا يفعلون؟

نطلع يوم ٧ نطوف ونسعى ونقصِّر، كذا أحللنا. ثم مباشرة سنعيد من جديد نية الحج وندخل في الحج.

يأتي أحد يقول ما المصلحة من مثل هذا؟

هذا جوابه أن نقول: ما أفضل النسك؟

ناس يقولون أنهم سيدخلون التمتع لأنه أفضل النسك.

أهل العلم في الرأي الراجح لهم أن أفضل النسك يعتمد على الشخص، من أنت؟

- كل آفاقي لم يعتمر قريبًا، فأولى في حقه التمتع، وإذا لم يستطع التمتع أخذ القران.
- كل قريب قد اعتمر قريبًا أولى في حقه الإفراد.

هذا الرأي الراجح والله أعلم، على ذلك يكون الأفضل لمن اعتاد دخول الحرم أن يكون مفردًا.

من أهل جدة من هم هاجرون للحرم، فمن الممكن أن يأتي رمضان بعد رمضان وهم لم يعتمروا، مع أنه في جدة لكن هذا أولى في حقه التمتع.

إذن أي النسك أفضل؟ حسب حال الشخص، على حسب ارتياده وتعميره للحرم، لأن العمرة أتت من التعمير، فأنت وأنت

تطوف تعتمر لتعمره

فإذا كنت ممن مَنّ الله عليك بالتردد وأنت قريب، فالأولى لك الإفراد.

وإذا كنت بعيدا أو كنت قريبا وهاجرا للحرم، فالأولى لك التمتع أو القران.

من أراد القِران: ينوي حجًّا وعمرة معًا، فيعمل أعمال الحج فقط، ويجبر هذا بدم.

أعمال المفرد مثل أعمال القارن ماعدا أن القارن يزيد عن المفرد أنه يجبر بدم، بعض أهل العلم ما يستعمل كلمة يجبر إنما يتقرب شكر بدم.

على كل حال القارن يذبح، عليه هدي.

متى تبدأ التلبية ؟

من حين الإحرام بالحج أو العمرة وتنقطع التلبية بانتهاء رمي جمرة العقبة.

التلبية هذه إشعار بحج أو عمرة.

اليوم الثامن : يوم التروية

سيكون في منى، سيصلي في منى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، فجر يوم عرفة.

السنة أن نصلي فجر يوم عرفة في منى، لكن الآن بسبب التفويج يفوجون الناس سابقًا، يعني يفوِّجون الناس الساعة الثانية أو الثالثة أو الرابعة، قبل الفجر، لا بأس، لا يكون حصل في الحج شيء لكنه نقص في السنة.

التفويج هذا له خطته حتى يصل الناس في وقت مناسب.

إذن ماهي الأعمال التي يوم بها الحاج في اليوم الثامن، لما يصل منى في المخيَّم؟

الصلوات في وقتها، ويصليها قصرا ولو كان من أهل مكة، والقصر على الرباعية.

القصر ليس للسفر بل للنسك نفسه.

أصلي السنن الرواتب أم لا ؟ أما السنن الرواتب فلا، ماهي السنن الرواتب؟ قبل الظهر وبعد الظهر وبعد المغرب وبعد العشاء.

ما عدا سنة الفجر، سنة الفجر ما تركها النبي سفرًا ولا حضرًا.

بقي علي السنن المطلقة مثل: الضحى وقيام الليل والوتر؟

أما الوتر فتصلينه، كذلك الضحى وقيام الليل فيُصلى ؛ لا تتصوري ترك السنن الرواتب يعني ترك النوافل.

اليوم التاسع: يوم عرفة

الخروج إلى عرفة، يستحبُّ الذهاب مِن منى إلى عرفة بعد طلوع الشمس مِن يوم عرفة؛ كما في حديث جابر الطويل في صحيح مسلم، ويكون الحاج في ذهابه إلى عرفة مُكَبِّرًا مُلَبِّيًا؛ لحديث عبد الله بن عمر –رضي الله عنه– قال: "غدونا مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مِن منى إلى عرفات، مِنَّا المُلَبِّي، ومِنَّا المكَبِّر".

الملبي يعني يقول (لبيك اللهم لبيك) ثم يخلط تلبيته بتكبير.

اليوم الثامن لازال بمثابة الاستعداد ليوم عرفة، فحتى يعتاد قلبك على الجمع لابد أن تقدِّم أعمال، قدِّمها اليوم الثامن وقبلها؛ لأن التوفيق يوم عرفة مبني على هذه القاعدة: (**من عرف الله في الرخاء عرفه في الشدة**).

فمن الرخاء الآن سواءًا كنت حاجًا أو غيره قدم للحج بأعمال صالحة، تب واستغفر، من أجل أن يزيل الله عز وجل مافي القلب من الكدر فتستطيع جمع قلبك، لا تكن في الدنيا لاهٍ واتصالات ثم تريد من نفسك عشيَّة يوم عرفة أن تجمع قلبك وتقف تدعي وتجد نفسك صاحي! الذي يلتهي غالبًا لا يوفق ليوم عرفة؛ لأن مثل هذه الأعمال تحتاج إلى تقديم، قدِّم لهذا اليوم أعمالًا تنفعك فتستطيع أن تجمع قلبك، والحسنة تقول أختي أختي.

فأنت قدِّم أعمال صالحة اليوم الثامن وقلبه فيجمع عليك قلبك في اليوم التاسع عشية عرفة إن شاءالله.

فنصلي الفرائض في منى، نكثر من الذكر، نقلل من التدخل فيما لا يعنينا ونقلل الأكل والشرب والجدل ورفع الأصوات والكلام الذي يسبب فقدان الحاج لسلامة حجِّه.

اليوم الثامن هو يوم المشاكل في الغالب، لأن الناس يأتون إلى المخيمات؛ فتجد هذا فقد حقيبته وهذا ما ناسبه المكان وهذا ما ناسبه المخيم... إلخ. فتشعر أن الناس ذاهبون رحلة ويريدون نفس الذي في بيتهم موجود هنا من الرفاهية. **أنت مرتحل لربك، ولست نائمًا على الرصيف، نائم على مكان يعتبر فيه نوع من الأمن والرفاهية مهما كان حالك.**

كثير من الحجاج في هذه الأيام ، يقولون لصاحب الحملة أو للمشرفين: (نحن دافعين فلوسنا، هل نحن قادمين ببلاش؟!) ومن هذه الكلمات التي تدخل في الجدل بل في الفسق! فيفسد حجه من أول الموضوع.

الحج ليس أي حج؛ الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة.

لابد أن تفهم لما تتوفر لك الوسائل لابد أن تأتي على الوسائل منغصات، فاحمد الله أنها في الدنيا ليست في قلبك أو دينك

ثم اعلم أن الله عزَّ وجلَّ قال في كتابه : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾الفرقان: ٢٠ لابد اختبار صبر واختبار شكر، فإذا عاملتها بما يليق زادك الله نعماء.

أين : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾إبراهيم: ٧ يعني بطر في الأكل، عدم حمد وشكر للرب، أو إذا حققت الحملة وعودها، كثير من القلوب تتجه للحملة وأصحابها، إذا وصلنا عرفة بالوقت المناسب نقول : والله هؤلاء منظمين ويعرفون الطريق، ولو أكلنا ما يناسبنا قلنا: والله عندهم ذوق، ولو جلسنا في مكان مناسب نقول: يعرفوا يحترموا الناس ويضعوهم في مقامهم.

كل الثناء على الناس، وفي مقابلها كل الذم عليهم! ولا يوجد استشعار لاسم الله الرزاق!

أنه إذا أتاك ما يسرك فهو رزق خالص من الله، إذا أتاك ما يضرك فهو اختبار خالص من الله.

فلا تعامِل الناس، عامِل الله.

هذه الأموال التي دفعتها لتحج، لا تتكلم عنها لأنك يمكن أن تدخل في باب المنِّ على الله، أنت راحل، ترجو لو دفعت مالك كله من أجل أن يقبلك الله.

ألا ترى الصحابة تركوا بيوتهم وتجارتهم يعبث بها أهل الشرك لكن هجرة إلى الله، كانت مساكنهم طيبة في مكة لكن هجروها، من أجل الله.

امرأة فرعون ماذا طلبت من الله ؟

امرأة فرعون تتمتع بالملك، تعيش في بيت ملك وليس أي ملك، الأنهار تجري من تحته، ومع ذلك فهمت حقيقة القصة، ﴿ ٱبْنِ لِي عِندَكَ ﴾ التحريم: ١١ رأت معنى المعية ومعنى القرب من رضاه.

فلابد أن تكون الرحلة هجرًا لما اعتدنا عليه.

ثم إن كثيرًا من أصحاب الحملات يبذلون ما يستطيعون ثم يزيدون إفراطًا في الأكل والشرب، فلا تزداد شهيتك وتجد نفسك كأنك ذاهب سياحة !

لما أحدنا يقرر أن يدخل في نظام غذائي مهما أغروه بالطعام والشراب، يريد أن يثبت لنفسه قوة إرادته، الآن أنت لابد أن تنتبه أنَّ مأكولا يدخل إلى أمعائك، مثقولاً يقع على قلبك. لذلك نقول في رمضان بعد المغرب: لا تأكل وتشرب ستنام في التراويح.

الآن أنت تريد أن تكون في أربعة أيام في غاية الصفاء، وأريدك أن تشعري، ستعدي الساعات، وتستمتعي بالأكل والشرب، ثم

سنقضي وقت أكيد في إخراج هذا أيضًا، فتصوَّر أنك بين هذا وهذا طول الوقت؟ لن ننتهي!!

تصور لما تريد أن تقوم بعمل محدَّد ولا تريد قواطع له، ستختصر ما تستطيع. الأكل والشرب ليس من المحرمات لكن لا تقع عليه وقوعًا ولا تستجيب للدواعي؛ خصوصا أن دواعيه كثير، ولما يكثر الدفع يكثر الأكل.

كثير من الناس يقول: أنا لا أدفع كثيرا إلا في حملة قريبة من الجمرات، وتجد مع أنه بجانب الجمرات لكن ما تحمله رجله للجمرات، ثم أي دعاء بمقدار سورة البقرة سيكون؟!!

يجب أن تعرفوا أن الاستجابة للحاجات البدنية يسبب ضعف القلب، لكن الزم لا حول ولا قوة إلا بالله، اسأل الله البركة. لما تشرب الماء أو تأكل اللقمة قل بسم الله، وأنت صادق أنك تطلب البركة بها وتكتفي منها.

كل هذا وفوقه الشكر والحمد على ذكر النعمة.

الحج لم يصل لهذه الدرجة من الرفاهية إلا الآن، فبدلا من أن يكثر الحمد والشكر لله، تجد الناس يكثرون الانتقادات لأنهم نسوا هم إلى أين ذاهبون!. فِعل التجرُّد من الدنيا غير موجود. **أنت في الحج عبد ذليل منكسر لله.**

تأتي عشية عرفة، تجمع قلبك على قدر فعلك السابق، عشية عرفة تبدأ من بعد صلاة الظهر والعصر جمع تقديم، يعني الضحى يوم عرفة وقت لجمع القلب والراحة والاستغفار، من أن يؤذن الظهر تجمع الظهر والعصر.

لماذا جمعت العصر مع الظهر؟

أمر شرعي لكن من حِكَمه أن تتفرغ للدعاء، فالله عزَّ وجلَّ يباهي ببني آدم المسلمين المؤمنين الموجودين في عرفة، يباهي بهم الملائكة، ثم يستجيب دعاءهم، ينزل إلى السماء الدنيا : (اطلبوا ما أردتم).

ورد في فضل يوم عرفة والوقوف بها قوله –صلى الله عليه وسلم–: ((مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلاَئِكَةَ فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلاَءِ ؟)) رواه مسلم.

لذلك يقول أهل العلم: الحج حرفان، **أما الحاء** فحكم الحق **وأما الجيم** فجرم الخلق، فيقبل الخلق بجرمهم على الحق فيحكم لهم بالمغفرة.

ولذلك في سورة الحج ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ ﴾ الحج: ٦٢

نسأل الله أن ينفعنا بذاك اليوم العظيم.

آداب عشية عرفة أن تتفرغ للدعاء

النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن صلى الظهر والعصر ركب ناقته واستقبل القبلة وبقي رافعًا يديه يدعو الله عزَّ وجلَّ من ذاك الوقت إلى أن اقتربت الشمس للغروب، متصل في مكانه ما تحرَّك.

وكان أكثر ما يقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

وهذا قوله –صلى الله عليه وسلم–: ((خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))[1].

لماذا هي خير ما قال العبد ؟ لأنه كأنه يقول: أنا ليس لي إله أعتقد أنه رباني وأنعم علي وأنه الملك الذي يحكم فيه، وأنه الإله المحبوب، فأنا منطرح بين يديه أسأله أن يعاملني بما هو أهل له.

فلما تكثرين من قول لا إله إلا الله تعترفين أن ليس لك رب مالك مربي مدبر إلا إياه، فكأنك تتوسلين إليه بما تعتقدين من صفاته، فكان ذكر ودعاء.

المثل الذي يُضرب لمثل هذا:

مثلما نأتي نقول: لو شخص دخل على ملك من ملوك الدنيا وقال له: اطلب، فيكون أعلى رقم عنده مثلًا مائة ألف، فيقول له: أريد منك مائة ألف – هذا أعلى رقم يعرفه– ، فيعطيه.

لكن لو قال له: اعطني ما يليق بك، ماذا سيعطيه؟

سيعطيه شيء كثير، وربما لا يعرفه ولا يعرف أرقامه.

فهكذا لما تُقبل على الملك سبحانه وتعالى؛ فرق شاسع بين أن تعدد: أريد زوج صالح وبيت وضعه كذا، ... إلخ ، وبين أن تقول: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير).

يعني: أنا أعلم أن الملك بيديك وأنك على كل شيء قدير وأنا منطرح بين يديك فأعطني ما يليق بي، مثل هذا الانطراح والانكسار ذل؛ وهذا الذل المفروض نخرج به من الحج.

هذا الذل والإنكسار والرضا بالله.

فإذا انتهت عشيَّة عرفة، دفعوا الناس إلى مزدلفة، أول ماتصِلين إلى مزدلفة مباشرة تصلين المغرب والعشاء، ثم تتعشِّين وتنامين في العراء. **وهذا أحد أنواع التعبُّد.**

---

[1] "سنن الترمذي" (كتاب الدعوات/ باب فِي دُعَاءِ يَوْمِ عَرَفَةَ/ ٣٩٣٤) وحسنه الالباني.

وهكذا الدنيا، تتقلب فيها من بين مكان مستور آمن لمكان فيه عراء، مرة تكون في وضع يلائمك ومرة تكون في وضع لا يلائمك، فأنت بين الصبر والشكر.

اليوم العاشر: يوم العيد (يوم النحر)

ثم يصلي الناس الفجر أول ما يؤذن

ننبه هنا إلى تنبيه: أنه في مزدلفة كل باص ومعه جماعته، فأحيانا يؤذن قبل الوقت، لابد من التحرِّي؛ والغالب أن مسجد المشعر الحرام يُسمع صوته في غالب مزدلفة، فتُصلِّي على أذانه، **ثم يأتي الآن الوقت الفاضل، بعد انتهائك من صلاة الفجر إلى أن يُسفِر جدًّا، إلى أن يأتي وقت شروق الشمس، هذا الوقت وقت دعاء**، النبي صلى الله عليه وسلم توجه إلى القبلة ودعا عند المشعر الحرام الذي هو الآن مسجد المشعر الحرام، أو في أي مكان مزدلفة. (الآن وصلنا إلى الموطن الثالث في الدعاء).

السعي فيه دعاء، وعرفة فيه دعاء، وها هي مزدلفة هذا وقت دعاء.

لذلك كثير ممن فيهم صحة وعافية ويدفعون من مزدلفة لمجرد الدفع وأن ينتهوا، يحرمون أنفسهم من الدعاء هنا.

ثم يتوجه الناس لمنى مرة أخرى لرمي جمرة العقبة

رمي جمرة العقبة على خلاف في وقته:

بدايته:

يبدأ من بعد شروق الشمس أو **يبدأ** من بعد أن يدفعوا الناس من مزدلفة.

لأن الثقلاء والضعفاء يدفعون بعد غياب القمر، وليس بعد نصف الليل، الشاهد واضح، تنظرين إلى القمر إذا غاب صار لا يُرى في هذا الوقت يغادرون.

يغيب القمر الآن حدود الساعة الثانية والنصف، من هنا يبدأ وقت الرمي على القول الراجح.

وبعض أهل العلم يقول أنه لايبدأ إلا من وقت شروق الشمس.

آخر وقت :

المتفق عليه أنه عند غياب شمس هذا اليوم، اليوم العاشر، ينتهي وقت رمي جمرة العقبة.

لا يسن للحاج صلاة العيد، هناك أشخاص بعد أن ينزلون من مزدلفة ينزلون على الحرم، فيطوفون طواف الإفاضة ويجدون الناس يصلون العيد، هؤلاء في حقِّهم لا يُسنُّ صلاة العيد.

وهذا ينبهك لتنبيه، المسلمون في كل مكان يصلون صلاة العيد، لكن أنت يا حاج في شُغلٍ عن صلاة العيد. يصير لا أحد يتحجَّج لك ويأتي يقول في اليوم العاشر بعد المغرب ترى نحن في عيد ولازم نحتفل، و يأتيك من الاحتفالات التي تُذهِب عنك

الذل، لا، هذا عيدنا مختلف؛ عيدنا هنا بكثرة الذكر والذل.

على كل حال، مثل هذه الأفعال تصوري لو أنك كنت في مخيم وحصل هذا الشيء، حصل أن أحدا احتفل بالعيد بصورة غير لائقة بالمكان!

لا تكثري الجدل؛ لأن الجدل يفسد عليك حجك، اعتزلي بقدر المستطاع مجلسهم، لكن هم عند الله يتحمَّلون مافعلوا، لأن هذه الأماكن أماكن معظَّمة مقدَّسة خصوصًا هذه الأيام. وتصوَّري أنك لا زلت في الذل والانكسار.

لا ننس أنفسنا ونتصور أننا في عيد، والناس يخرجون أدوات التجميل، ويتصورون نفسهم أنهم في البلد!! هناك خطأ في التفكير، لابد من تعديله.

أنت الآن في أيام ذل وانكسار لابد تبقى ذاكرًا لاهجًا، لا يشغلك الأكل والشرب عن ذكر الله عزَّ وجلَّ، وإن أكلت وشربت فتكون حامدًا شاكرًا لاهجًا بذكره.

لو كنا نشارك أهل البلاد في العيد لصلَّينا العيد!. لكن نحن لم نصلي العيد معهم، نحن نشتغل بأعمالنا.

فأول شعائر العيد وإظهاره هو الصلاة، صلاة العيد، أنت في حقك يا حاج صلاة العيد ليست حتى من السنة.

فما ترونه من توسع في المباح نخشى منه أن يوصلنا إلى الحرام !

افترضي جدلا أنك في مخيَّم وحصل هذا الأمر، رأيتهم يحتفلون احتفالا فيه انشغال

- أوعظي الناس المسؤولين وعظًا بسيطًا.
- وإن رأيتِ نفسك لستِ أهلا للوعظ، وأنك لو ذهبت ستقولين كلمتين تجرحين فيها حجك، اعتزليهم.
- اكتبي ورقة.
- لا تتركي تمامًا وعظهم لكن لا تبقي في مكان مثل هذا.
- وانكبي منشغلة منكسرة.
- ولا تري نفسك أنك أحسن منهم، ربما هم يكونون عند الله عزَّ وجلَّ أحسن منك.
- أنتِ تمسَّكي بالسنة ما استطعتِ إلى ذلك سبيلا.

ولازلنا نقول: لا يغرونك فيقولون لك يوم عيد، ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ يونس: ٥٨ مطلوب منكِ أن تفرحي، لكن تفرحي أن وفقك وأوصلك، وهذا الفرح مشوب بالخوف أن تكوني من غير المقبولين، لا أحد في يوم مثل عرفة يقول: (بعدما وقفنا في عرفة وقُبلنا عند الله) هذه الكلمة جريمة كونك تقولي عن نفسك قُبلت أو تحكمين على أحد فهذه مخالفة لأهل السنة والجماعة، بل أهل السنة والجماعة لايشهدون لأحد لا بقبول لا بجنة ولا بنار. إنما هذا أمر موكول إلى الله.

لازال الأمر يحتاج منا جهد، لازال رمي الجمرات هذه العبادة العظيمة التي تحتاج لذل وانكسار، أين هي؟ لا يدخل الهوى في هذه العبادة.

في اليوم العاشر: في نهاره كثرة الذكر ورمي الجمرة.
ولازال في ليله نفس الأمر، تكثر من الذكر، تنام مبكرًا حتى تقوم الليل وتصلي الفجر، لاتعطي نفسك للسهر والحكي.
إن استطعت أن تطلب العلم بين يدي أحد يعلمك بها ونعم، ما استطعت الزم الذكر والدعاء والتكبير والتهليل، ربما يكون هو في وقت أفضل من قراءة القرآن؛ يعني كثرة الذكر المطلق يكون في وقت أفضل من قراءة القرآن، لكن نوّع بين كثرة الذكر وقراءة القرآن، واستعمل هذا في الأيام الباقية.
لا تشعر أنه في وقت فينشغل قلبك عن ذكره سبحانه وتعالى

أريد أن أنبهكم أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنَّ أعظم الأيام عند الله اليوم العاشر، قَالَ: ((إِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمُ النَّحْرِ ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ))[1]. يوم النحر هو اليوم العاشر، يوم القر هو اليوم الحادي عشر.
اختلف أهل العلم هل اليوم العاشر أولى أم يوم عرفة ؟ على اختلاف
يوم القر: لازال الذكر طريقك إلى الله، جعل النبي صلى الله عليه وسلم اليوم العاشر أعظم الأيام ثم اليوم الحادي عشر.
وقت الرجم بعد الزوال (أي بعد أذان الظهر) إلى الليل
في اليوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، لكن في الثالث عشر في الغالب الناس يتعجلون، بمعنى أنهم قبل المغرب في الغالب يرموا.

في اليوم العاشر نرمي فقط جمرة العقبة، وهذه الجمرة آخر الجمرات، في الغالب كل الناس يتجهون نفس الاتجاه.
أول يوم ستتركين أول جمرة وثاني جمرة وتصلين إلى الثالثة. ومكتوب بكل اللغات (جمرة العقبة الجمرة الكبرى) ما في مجال للخطأ.
ماذا تفعلين ؟
تأخذين السبع حصيات وتلقي كل واحدة منفردة، تكبِّرين مع كل حصاة، وتجمعين قلبك على تعظيمه.
دائمًا يقولون: (اجمع قلبي على ماذا ؟ يادوب ارمي وامشي!)

[1] "سنن أبو داود" (كتاب المناسك/ باب مَنْ نَحَرَ الْهَدْىَ بِيَدِهِ وَاسْتَعَانَ بِغَيْرِهِ/ ١٧٦٧) قال الألباني: إسناده صحيح، وقد صححه ابن حبان والحاكم.

لازلنا نقول اعمل أعمالًا سابقة لتجد قلبك في أوقات الأزمات، هذه هي صورة الحياة، من أجل أن تكون تقيًا لا تنسوا أول الحج: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴾ فكأنه يُقال : في الأزمات ما ينفعك إلا أن يكون عندك رصيد من التقوى.

مثله عندما ترمين الجمرة، حتى تجمعي قلبك وقت الرمي، من أين لك قلب إذا لم يكن معك قلب من الأول ؟ فيسددك الله هنا على تعظيمه وعلى خشيته وعلى الانكسار، وكونك تفعلين مثلما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وممتثلة أمر الله عزّ وجلَّ.

من أين نأخذ الحصيات؟

الراجح في كلام أهل العلم أن حصيات جمرة العقبة من مزدلفة إن تيسَّر. بمعنى : إذا كنت متجهة من مزدلفة للرجم خذيها من مزدلفة، وإذا لم يتيسر خذيها من منى. بقية الأيام من منى بدون مناقشة.

اليوم الحادي عشر

من متى يبدأ الرجم؟ من بعد صلاة الظهر.

ماصفة الرجم؟ **تبدئين بالصغرى**، ترمين سبعًا كبِّرن مع كل واحدة، ثم تنحازين أقصى اليمين، ثم ارفعي يديك للدعاء وهم يشيرون لك أين القبلة (القبلة أمامك وربما يكن فيها ميل بسيط)، ارفعي يديك وادعي ما أردت.

موطن عظيم من مواطن إجابة الدعاء

النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو بمقدار سورة البقرة، يعني بين ساعة ونصف لساعتين.

نأتي الآن للجمرة الوسطى

بعد أن انتهينا من الدعاء نتقدَّم فنصل للجمرة الوسطى، نرجم سبع مرات مُعظِّمين لله ممتثلين أمره وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، هذا ما نعتقده، لا نعتقد أن هنا شيطان ونرجمه! أنت الآن ترجمين امتثالًا لأمر الله، ثم تنحازين يسارًا وتدعي بنفس الصورة التي دعيت بها في الجمرة الصغرى.

ثم تتقدمين للجمرة الكبرى (العقبة) ترجمي لكن الجمرة الكبرى لا دعاء فيها.

اليوم الثاني عشر

مثله، يبدأ من بعد الزوال ويستمر لليل، وبنفس الطريقة الرجم.

اليوم الثاني عشر نتعجَّل أو لا نتعجَّل ؟

في كتاب الله، في سورة البقرة، أخبر سبحانه وتعالى بضابط : ﴿ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ

﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ البقرة: ٢٠٣ لا إثم عليه، يعني : يعود إلى بلده خال من الآثام لو اتقى.
ليس لا إثم عليه بسبب التعجُّل أو التأخر، نحن لدينا في الموطنين لا إثم عليه، من تعجل فلا إثم عليه لمن اتقى، ومن تأخر لا إثم عليه أيضا لمن اتقى.

ماذا تفهمين من الآية؟

أنك ستعود لمنزلك لا إثم عليك سواءً تعجلت أو تأخرت بشرط أن تكون متقيًا، هذه الآية قابليها بآية سورة الحج: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ ، فهذا هو العامل أن تكون في الحج تقيًا، ولذلك أن تكون تقيا وفي الحج فمحتاج أن تجمع قلبك، فلا تشتته بأي نوع من اللهو ولا بأي نوع من الاتصالات ولا بأي نوع من الانشغال بين الناس.

لكن أولى أن تتأخر:

- لزيادة الأعمال
- ولأنها سنة النبي صلى الله عليه وسلم
- ولأنك ستجد موطنين للدعاء لا تفقدهم.

اليوم الثالث عشر

لما تبقى إلى اليوم الثالث عشر، وتدعو عند الجمرة الصغرى والوسطى، أليس هذا موطنًا يستحق أن تبقى ؟ بلى .
لكن المهم في هذا وهذا التقوى. فإذا كنت ممن تعجل فأكثر من الذكر والاستغفار وحافظ على حجَّتك. وإذا كنت ممن تأخَّر لا يأتي يوم التأخير ونسهر طول الليل، ولا ترى نفسك أحسن ممن تعجل، ولا يقع في قلبك أنك أكثر خيرا، الله أعلم من هو المقبول في هذا.

لازال يصاحبك في عمل القلب الذل والانكسار، ما ينقطع قلبك عن الذل والانكسار

نسأل الله بمنِّه وكرمه أن يجعل هذه العشر التي هي خير الأيام عنده خير الأيام في حياتك، وأنها سبب لرفعتك عنده سبحانه وتعالى.
أسأل الله عزَّ زجلَّ لي ولكم القبول، وأسأله سبحانه وتعالى أن يجمعنا على خير حال.